

اتِّسَاقُ النَّصِّ فِي سُورَةِ الْجُمُحِ

تأليف

الدكتور

فريد عوض حيدر

أستاذ علم اللغة

بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة - فرع الفيوم

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

اتِّسَاقُ النَّصِّ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ

تأليف

الدكتور: فريد عوض حيدر

أستاذ علم اللغة

بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فرع الفيوم

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع ١٠٢٥٧ / ٢٠٠٤

تاريخ النشر ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الترقيم الدولي: 9 - 246 - 314 - 977

الناشر: مكتبة زهراء الشرق

١٦ اش محمد فريد - القاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا]

(النساء ٨٢)



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فهذا بحث في علم اللغة النصي، وهو علم من العلوم الحديثة، إذ تعود بدايته الفعلية إلى أربعة عقود من الزمن تقريباً^(١)، وهو يندرج تحت علم اللغة التطبيقي، إذ يهتم بتحليل النص، وقد اخترت لهذا البحث عنوان " اتساق النص في سورة الكهف " ولما كان النص متشعب الجوانب، فإنه يحتاج في التحليل إلى قصده من جوانب متعددة، ولذا فقد اكتفيت من السورة بتحليل قصتي أصحاب الكهف وذوي القرنين؛ فكل قصة منهما تشكل نصاً مستقلاً، وعلى الرغم مما بينهما من مسافة ٥٧ آية، فإن القصتين يجمعهما سبب نزول واحد، وهذا يمثل قاسماً مشتركاً من الاتساق بينهما، إضافة إلى عوامل اتساق أخرى يكشف عنها البحث، وكان هذا هو الذي دعاني إلى الجمع بينهما في هذا البحث.

واتجاهات تحليل النص في علم اللغة النصي متعددة، ويمكن تصنيف أهمها في ستة اتجاهات:

- ١- اتجاه يهتم بالجانب النحوي ومنه أيضاً نموذج يُعد النص سلسلة من الإضمار، وآخر يهتم بالربط بين الجمل^(٢)، واتجاه التجزئة النحوية للنص عند فاينريش^(٣).

^١- ينظر- الدكتور سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات لونغمان القاهرة. ١٩٩٧

ص ١.

^٢- ينظر فولفانج هابنه من وديتر فيهيجر ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي منخل إلى علم اللغة النصي الرياض ١٩٩٩ ص ٢٣- ٢٧.

٢- اتجاه يهتم بالجانب الدلالي ومنه "نموذج السمات المعجمية" بوصفها دلائل على الترابط النصي.^(٤)

٣- اتجاه يهتم بالجانب الاتصالي ومنه "نموذج النص النظري لإيزنبرج ١٩٧٦ (٥)

٤- اتجاه يهتم بالجانب النفسي^(٦)

٥- وكان فاندريك قد قدم نموذجة النحوي، فوسع مفهوم النحو بحيث جمع في نموذجه بين عدد من الجوانب المطروحة في الاتجاهات السابقة، تلك الجوانب هي الجانب النحوي والدلالي والاتصالي التداولي.^(٧)، وكذا فعل دو بوجراند R.De Beaugrande الذي أوجب النظر إلى النص من خلال البنية الثلاثية المكونة من "التركيب وهو الذي يتعلق بالترابط النحوي، والمعنى وهو الذي يتعلق بالترابط الفكري، والبراجماتيك، وهو الذي يتعلق بالخطط والأهداف والأفعال التي يسلكها النص من أجل تحقيق أهدافه".^(٨)

٦- نموذج التحليل النحوي الدلالي للنص الذي قدمه بتوفي J.petofi، وهو قريب من نموذج فاندريك، فلم يكتف في تحليل النص بالكشف عن

^٣ - علم لغة النص ص ١٩١.

^٤ - ينظر مدخل إلى علم اللغة النصي ٣٧ - ٥٥.

^٥ - مدخل إلى علم اللغة النصي ٥٥ - ٦٢، وينظر علم لغة النص ص ١١٩.

^٦ - مدخل إلى علم اللغة النصي ٦٢ - ٩١.

^٧ - علم لغة النص ص ٢٢٠، ص ٢٣١.

^٨ - يوسف نور عوض علم النص ونظرية الترجمة دار الثقة للنشر والتوزيع مكة المكرمة ط ١

١٤١٠ هـ ص ٤٠ - ٤٤.



العلاقات الداخلية في النص، بل اتسع لمجموعة المعاني الخارجية للنص، والمعاني الإضافية والمعاني الإشارية والمعاني الإحالية والمعاني التداولية وغيرها، وكل نص بحسب ما يتوفر فيه من هذه المجموعات^(٩).

ولا يشك الباحث في أن كل اتجاه (على حدة) من هذه الاتجاهات - فيما قبل اتجاه فاندريك على الأقل - غير كاف لفهم النص، لأن النص متعدد الجوانب، ولعل عدم صلاحية الاتجاه الواحد منها للتوصل إلى الفهم الحقيقي والشامل للنص يعود إلى أن كل اتجاه منها نظر إلى النص من ناحية أو من ناحيتين؛ فلم يستوعب جميع جوانبه، فقد "أصبح... من المعارف المؤكدة، أن غنى جانب النصوص لا يمكن أن يدرس بواسطة نظرية واحدة.. بل لابد من عدة نظريات يصور كل منها جوانب محددة.. من النصوص، ثم يمكن.. أن تدمج في نظرية نص شاملة" (١٠).

إذن فعلم اللغة النصي مازال في طور التنظير، ومن هنا رأينا أن نتخذ في دراستنا هذه منهجاً يشمل عدداً من الجوانب، وهي: الجانب النحوي، والجانب المعجمي، الجانب الدلالي بما في ذلك سياق الحال، الجانب التداولي، والجانب الصوتي المتمثل في اتساق الفواصل. "وينبغي أن تكون (هذه الاتجاهات أو) "الوسائل متضافرة لا متنافرة،

^٩ - علم لغة النص ص ٢٥٧.

^{١٠} - مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٤٠٤.

ومتقارضة لا متعارضة، بمعنى أنه إذا بُدئ بزاوية (أو باتجاه) منها أدت إلى النتيجة التي يؤدي إليها البدء من زاوية أخرى" (١١) وسوف يهتم البحث بتعريف بعض المصطلحات قبل أن يبدأ في التحليل النصي لمادته؛ تلك المصطلحات هي:

١- النص والخطاب.

٣- مفهوم الاتساق (التماسك). cohesion.

ثم يأتي بحث اتساق النص، وسوف يتضح الاتساق بتحليل كل قصة من القصتين تبعاً للمنهج الآتي:

١- بحث الاتساق النحوي ويدخل تحته الإحالة، والحذف، والربط، أما الإحالة فسوف نبحث ما يندرج تحتها من الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية، وما تفرعت إليه الأولى من إحالة نصية وإحالة معجمية، ويقتضي ذلك الحديث عن العناصر الإشارية العاملة (المراقبة)، وما يتبعها من عناصر إحالية، وبيان دورها في الاتساق، مع وصف هذه العناصر الإحالية، وتصنيف كل واحد منها طبقاً لأنماطها المعروفة في تحليل النص، سواء أكانت الإحالة قبلية أم بعدية، قريبة أم بعيدة.

وقد اقتضى ذلك تقسيم النص إلى جمل، وذكر المسافة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، ولن يغفل البحث العناصر الإشارية غير العاملة، من قبيل المقارنة بين النوعين.

١١- الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ظواهر نحوية في الشعر الحر دراسة نصية في شعر صلاح عبد الصبور دار غريب القاهرة ٢٠٠١. ص ١٤٤. وما بين القوسين من تعبير الباحث.



وأما الحذف فسوف نبحث أنواعه المختلفة من الحذف الاسمي،
والحذف الفعلي وحذف التراكيب، وبيان أهميته في اتساق النص.
وأما الربط فهو على نمطين؛ الربط الخطي المتصل، والربط الخطي
المنفصل، وسوف نبحث فيهما دور الأدوات في اتساق النص، والربط
بين أجزائه.

٢- الاتساق الدلالي وسوف نرصد فيه دور العلاقات المنطقية بين
أجزاء النص، مثل علاقة الإجمال بالتفصيل، وعلاقة الإجابة بالسؤال،
والتعليل والتدرج والتوكيد والسببية والمقارنة وغيرها.

٣- الاتساق المعجمي.

٤- اتساق الفواصل. *الاتساق الصوتي*.

٥- اتساق موضوعات النص.

٦- الاتساق بين النص والعالم الخارجي في المجتمع.

إن هذا البحث يهدف إلى ما يلي:

- ١- الإسهام في بلورة نظرية عربية في علم اللغة النصي؛ ذلك أن
"النظرية الحقيقية وليدة عمل كثير متكرر من خلال النصوص، ولذلك
نحن في حاجة إلى جهد كبير... حتى تستوي هذه النظرية المنشودة" (١٢)
٢- رسم منهج لتحليل النص.

^{١٢} - الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف الإبداع الموازي: التحليل النصي للشعر. دار غريب

القاهرة ٢٠٠١ ص ١٢.

٣- الإسهام بصورة فعالة في ميدان التطبيق؛ لأننا نحتاج إلى التطبيق خاصة بعد كثرة الاتجاهات في ميدان علم اللغة النصي، لعلنا نهتدي إلى المنهج الأمثل في تحليل النص.

وسوف يوظف الباحث كل ما يمكن توظيفه، من المعطيات النظرية، العربية القديمة، والوافدة الحديثة، والمعلومات المتوفرة من العالم الخارجي للنص، وكذا الإشارات اللغوية والبلاغية، والمعلومات الإحصائية (وذلك عندما تعطي قيمة لها دلالات مفيدة) هذا كله من أجل فهم النص من جانب، ولخدمة أهداف البحث من جانب آخر. هذا والله تعالى وحده ولي النعمة والتوفيق.

فريد عوض حيدر.



- النص والخطاب

يذكر معجم الإيتومولوجيا للإنجليزية الحديثة أن كلمة نص text، مأخوذة من اللاتينية textus بمعنى النسيج tissue, to weave،^(١٣) وفي كلمة النسيج معنى الترابط الشديد بين أجزائه، ولعل هذا المعنى هو الذي جعل علماء علم اللغة النصي، يجعلون الاتساق (التماسك) في بناء النص، هو الشرط الرئيسي لكون كلام معين نصاً.

وفي علم اللغة الحديث، تستخدم كلمة نص وخطاب بمعنى واحد غالباً؛ ففي الفرنسية يشار إلى علم اللغة النصي بمصطلح "علم النص Science du Texte"، وفي الإنجليزية يشار إليه بمصطلح تحليل الخطاب discourse analyses^(١٤) والمفهوم واحد، وقد استخدمها عدد من علماء اللغة المحدثين كذلك؛ ذكر هاليداي M.A.K Halliday ورقية حسن: أن كلمة نص Text تستخدم في علم اللغة لتشير إلى فقرة ما (أو مقطع) منطوق أو مكتوب مهما كان طوله، مادام يُكوّن وحدة تامة^(١٥)، وكذا استخدمت كلمة خطاب discourse بمعنى نص، فقد ذكر ميشال استبس Michael Stubbs أن مصطلح تحليل الخطاب discourse analysis مصطلح غامض جداً، وأنه سوف يستخدمه في هذا الكتاب ليشير إلى

¹³- Weekly, Ernest, An Etymological Dictionary of Modern English, volume 2. p. 1492

¹⁴- فان دايك علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري القاهرة - دار القاهرة ٢٠٠١. ص ١٤.

¹⁵- Halliday and hasan, cohesion in English, p 1.

التحليل اللغوي لأحداث الاتصال الطبيعية المنطوقة أو المكتوبة^(١٦)، وكذلك فعل فاندايك T.A. Van Dijk فلم يفرق بين المصطلحين^(١٧).

وبعض اللغويين رأوا فرقاً دقيقاً جداً بينهما، وبعضهم ميز بين النص ورؤيته باعتباره منتجاً فيزيائياً، ورؤية الخطاب باعتباره عملية ديناميكية في التعبير والتفسير، والمميز المشابه لذلك أن النص يستعمل البنية السطحية؛ بينما يستعمل الخطاب البنية العميقة^(١٨).

والرأي القائل بأنهما بمعنى واحد له وجاهته - خاصة عند التحليل - وله ما يؤيده في الواقع؛ فالنص الواحد قد يتنوع فيه الكلام بين السرد والحوار، وبين توجيه الخطاب والحديث عن الغائب، كما أن الخطاب المنطوق يصير نصاً مكتوباً، كما أن النص المكتوب يمكن أن يعاد تحويله إلى خطاب منطوق، ولما كانت المادة المدروسة من القرآن الكريم، وأسلوب القرآن الكريم غني بهذا التنوع، وأنه "لا يخلق على كثرة الرد"، والخطاب فيه حي مستمر للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته؛ بل للناس جميعاً، وغير ذلك، وقد تنوع الأسلوب فيه بين السرد وتوجيه الخطاب والحوار؛ لما كان الأمر كذلك فإن الباحث يوافق الرأي الذاهب إلى استخدام المصطلحين "النص والخطاب" بمعنى واحد في تحليل النص، في إطار علم اللغة النصي.

¹⁶ - Discourse analysis, 1983 p 1

¹⁷ - علم لغة النص ٢٢١.

¹⁸ - Crystal, David, A dictionary of linguistics and Phonetics, 350.



الاتساق في اللغة من مادة (وسق)، وهي تدل على الجمع والضم، ومنه "وسق الليل واتسق، وكل ما انضم فقد اتسق"..." واتسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت..." والاتساق الانتظام^(١٩)، والاتساق في النص من هذا القبيل، فهو اجتماع وضم وانتظام للجمل، بحيث يكون بينها روابط تنظمها، كما ينظم الخرز في الخيط.

والاتساق في النص عبارة أيضاً عن "علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه، وترابط أجزائه. وهذه العلاقات تكون شبكة نصية تعين على تفسير النص"^(٢٠)

و"المراد بالاتساق (في اصطلاح) علم اللغة النصي "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص / لخطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"^(٢١)، والاتساق مصطلح يشير إلى العلاقات الدلالية الموجودة خلال النص، والتي تحدده باعتباره نصاً، وهو يحدث عندما يعتمد تفسير interpretation بعض العناصر في النص علي بعضها البعض^(٢٢)

19- ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت لبنان ١٣٠٠هـ مادة (و س ق) ٣٧٩/١٠-

٣٨١.

20- الإبداع الموازي ص ٤٥.

21- محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب المركز الثقافي العربي ط ١ ١٩٩١

ص ٥.

22 - cohesion in English, p 4.

واتساق النص - كما يبدو لي الآن - أصبح مفهومه أوسع دلالة مما ذُكر في هذه التعاريف، فهو لم يعد يشير إلى التماسك بالوسائل الشكلية وحدها، ولا الوسائل الدلالية وحدها، بل يشير إلى جميع الوسائل والعلاقات التي من شأن كل وسيلة أو علاقة منها أن تسهم بقسط من إحداث التماسك والترابط بين العناصر المكونة للنص، بحيث تتضافر جميعاً في إظهار النص وحدةً دلالية يمكن أن تستقل بذاتها في إعطاء مفاهيم مترابطة، أو تعبر عن قضايا متناسقة.



القصة الأولى: قصة أصحاب الكهف

نص القصة (٢٣)

[أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) ١ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ٢ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ٣ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ٤ (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ٥ (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ٦ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ٧ (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ٨ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ٩ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٠ (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ١١ إِذْ قَامُوا ١٢ فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٣ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ١٤ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٥ (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ١٦ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ١٧ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٨ (١٥) وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ١٩ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ٢٠ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ٢١ (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ٢٢ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ٢٣ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ٢٤ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ٢٥ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ٢٦ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ٢٧ (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ آيَاقًا ٢٨ وَهُمْ رُقُودٌ ٢٩ وَنَقَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ٣٠ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ٣١ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ

فِرَارًا وَلَمَلَنْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ٣٢ (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِيسَاءِ لُوا بَيْنَهُمْ
 ٣٣ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ٣٤ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ٣٥ قَالُوا
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ٣٦ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ٣٧
 فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ٣٨ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ٣٩ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
 بِكُمْ أَحَدًا ٤٠ (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ٤١ أَوْ يُعْدِيوكُمْ
 فِي مِلَّتِهِمْ ٤٢ وَلَنْ تُفْلَحُوا إِذَا أَبَدًا ٤٣ (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ ٤٤
 لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ٤٥ إِذْ يَتَنَازَعُونَ
 بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ٤٦ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ٤٧ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ٤٨ قَالَ
 الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ٤٩ (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
 رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا ٥٠ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ ٥١
 وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا ٥٢ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ٥٣ مَا يَعْلَمُهُمْ
 إِلَّا قَلِيلٌ ٥٤ فَلَا تُمَارِفِهِمْ إِلَّا مَرَاءَ ظَاهِرًا ٥٥ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
 أَحَدًا ٥٦ (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ
 يَشَاءَ اللَّهُ ٥٧ وَانْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ٥٨ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي
 لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ٥٩ (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ ٦٠
 وَازْدَادُوا تِسْعًا ٦١ (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ٦٢ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ بِهِ ٦٣ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ٦٤ وَلَا يُشْرِكُ
 فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ٦٥ (٢٦) وَأَنْتَ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ٦٦ لَا
 مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ٦٧ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا [٦٨ (٢٧) .



مظاهر الاتساق في نص القصة

١- الاتساق النحوي grammatical cohesion

الاتساق النحوي يعتمد على النحو "أعني النحو التفسيري...وأعني النحو أيضاً بوصفه البنية العميقة التي تعطي الجملة معناها (ذلك أن) النحو كما قدمه علمائنا الأوائل علم نصي لأنه يتعامل مع التراكيب ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية"^(٢٤)، في سياقها اللغوي والحالي. من أجل ذلك؛ سوف نحلل النص أولاً في ضوء ثلاثة عوامل نحوية لاتساقه هي الإحالة، والحذف، والربط وسيأتي التحليل بهذا الترتيب.

١-١- الإحالة reference

"الإحالة عامل operator يحكم النص كاملاً في توازن مع العامل التركيبي والعامل الزمني"، وفي كل نص عامل إحالة رئيسي، وهو يحكم النص الرئيسي وله أشكال أُنماها الإحالة على المتلفظ الذي أنجز النص، لأن الجامع الأساسي في النص هو ذات المتلفظ" فإذا تعدد المتلفظون في المقام...تعددت الإحالات على الذوات المختلفة تعدد النصوص الفرعية، ثم تجتمع هذه النصوص جميعها في مستوى أرقى هو ذات المتكلم منشئ النص.^(٢٥)

²⁴- الإبداع الموازي ص ٢٩. وما بين القوسين من تعبير الباحث.

²⁵- الأزهر الزناد نسيج النص المركز الثقافي العربي ط ١ ١٩٩٣ ١٢٤، دكتور مصطفى النحاس نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب منشورات ذات السلاسل الكويت ص ٦١.

وهي تنقسم إلى إحالة داخلية وإحالة خارجية، وتنقسم الإحالة الداخلية إلى الأزواج المتقابلة الآتية؛ ١- إحالة معجمية وإحالة نصية ٢- إحالة على السابق أو إحالة على اللاحق، ٣- إحالة على المدى القريب أو إحالة على المدى البعيد، ويجتمع لكل إحالة داخلية واحد من الأزواج الثلاثة التي تنقسم إليها، فيمكن أن تكون معجمية وتكون في نفس الوقت على السابق أو على اللاحق؛ بحسب جهة العنصر الذي أحالت عليه. وعلى البعيد أو على القريب؛ بحسب وجود أو عدم وجود مسافة بين عنصري الإحالة وهكذا، ولإجراء التطبيق على نص القصة، سوف يكون المرتكز على الزوجين الرئيسيين الداخلية والخارجية وسوف تذكر السمات الأخرى لكل إحالة في مكانها.

١-١-١ - الإحالة الداخلية:

والمقصود بها الإحالة داخل النص endophora، وتسمى أيضاً إحالة لغوية linguistic^(٢٦)، وبنية الإحالة في النص تقوم على مجموعتين أساسيتين من العناصر؛ المجموعة الأولى تسمى العناصر الإشارية، والمجموعة الثانية تسمى العناصر الإحالية، وبين المجموعتين ترابط وثيق، ومن هنا يأتي دور الإحالة في الإسهام الفعال، في صناعة الإتساق بين مكونات النص.

²⁶ - عبد القادر الفاسي الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية في اللغة العربية ضمن اللسانيات في خدمة اللغة العربية الجامعة التونسية ١٩٨١ ص ٣٧٦.



والمراد بالعناصر الإشارية deictic elements " كل ما يشير إلى ذات أو زمن، إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة (فالعنصر الإشاري يمثل) معلماً (index) لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره"^(٢٧)، فهذه العناصر يمكنها الاستغناء عما يفسرها، وهي على قسمين؛ الأول يطلق عليه العناصر الإشارية العاملة، وهي التي يتبعها أو يسبقها واحد أو أكثر من العناصر الإحالية المرتبطة بها، وقد أطلق عبد القادر الفاسي على الواحد منها مصطلح " عنصر مراقب controller ويسميه النحاة مفسر الضمير"^(٢٨)، وهذا القسم هو الذي يقوم بدور فعال في تحقيق الاتساق النحوي.

والقسم الثاني يطلق عليه العناصر الإشارية غير العاملة، وهي تذكر مرة واحدة في النص، ولا يسبقها ولا يتبعها شيء من العناصر الإحالية^(٢٩)، ولذا فليس لها دور فعال في الاتساق النحوي للنص مثل نظيرتها، ومن ثم فإن العناصر الإشارية مستقلة ويمكنها الاستغناء عن العناصر الإحالية، غير أن الأخيرة يمكن أن تحتوي على عناصر إحالية؛ فهي ليست منقطعة عن النص، كما أن أثرها في اتساق النص سيبدو في الاتساق المعجمي.

²⁷- نسيج النص ص ١١٥-١١٦. وينظر مريم فرنسيس في بناء النص ودلالته محاور الإحالة الكلامية دمشق ١٩٩٨ ص ٢٥-٢٦.

²⁸- الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية ص ٣٧٦.

²⁹- نسيج النص ص ١٢٨.

والمراد بالعناصر الإحالية anaphors (وتسمى أيضاً العناصر المراقبة)^(٣٠) تلك "الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب"^(٣١)، وهي عناصر إحالية تعمل داخل النص، وهذه العناصر لا بد لها من الارتباط بعنصر إشاري يفسرها ويراقبها؛ سواء كان هذا العنصر داخل النص أم خارجه، فهي عناصر مبهمة مفتقرة إلى العناصر الإشارية. وهي (تمثل أدوات الإحالة، ويطلق عليها أشباه الكلمات pro-forms وهي تلك العناصر الصغيرة التي تستخدم باعتبارها بدائل ولكنها غير مستقلة بذاتها)^(٣٢)، هذه العناصر الإحالية يكون غالبها من الضمائر، إذ هي "بأنواعها الثلاثة، ضمائر الأشخاص، والضمائر الموصولة، وضمائر الإشارة من "أهم ما يغني عن إعادة الذكر"^(٣٣) أي تغني عن إعادة ذكر العنصر الإشاري، إذ يتعذر أن يعاد ذكره في كل مرة يُحتاج فيها إلى ذكره، أو التذكير به، وهنا تقوم هذه الضمائر بوظيفة الربط بين أجزاء النص، عندما تبدو علاقتها موصولة بالعناصر الإشارية التي تحيل عليها، وتتطابق معها في النوع والعدد.

³⁰ - الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية ص ٣٧٦.

³¹ - نسيج النص ص ١١٨.

³² - باسل حاتم وإيان ميسون الخطاب والمترجم، ترجمة عمر فايز النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ ص ٣١٤ بتصرف، وقد ترجم الدكتور تمام حسان هذا المصطلح بالألفاظ الكنائية. النص والخطاب والإجراء ص ٣٢٠،

³³ - البيان في روائع القرآن ١٣٧.



إن الإحالة تنشط الذهن، وتنبه المتلقي لكي يتتبع خيوط التماسك بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية في النص، وسوف أضيف هنا (أي مع العناصر الإحالية) تلك الألفاظ التي تكررت، باللفظ غالباً، والهدف من ذلك؛ هو إدراك حجم الترابط، وعدم تفريق العناصر المترابطة في أكثر من موضع من البحث^(٢٤). والإحالة الداخلية على نوعين؛ إحالة معجمية وإحالة نصية، ولكل واحدة عناصرها الإشارية والإحالية. وسوف نفصل الحديث عن الإحالة فيما يلي:

١-١-١-١-١- الإحالة الداخلية المعجمية

سأذكر فيما يلي العناصر الإشارية في القصة؛ بادئاً بالعامل منها، وسأرتبها بحسب عدد ما تعمل فيه من العناصر الإحالية، المرتبطة بها، ثم أثني بغير العامل منها.

١-١-١-١-١-١- العناصر الإشارية العاملة

- أصحاب الكهف ج ١ آية (٩)(٢٥)

يعد هذا العنصر الإشاري هو العنصر الإشاري الأول، بالنسبة لبقية العناصر الإشارية، من حيث عدد العناصر الإحالية التابعة له والمرتبطة به داخل النص؛ حيث عمل في ٨٢ عنصراً إحالياً، سوف

³⁴- يلاحظ أنه قد ترتب على هذا الإجراء تكرار بعض العناصر فيما بعد في التتاسق الأساق المعجمي. ص ٦٣- ٦٨ من البحث.

³⁵- سوف يذكر رقم الجملة ورقم الآية بعد كل عنصر إشاري أو إحالي في سائر البحث، الرقم الأول للجملة، و ج رمز لها، وما بين القوسين رقم الآية.

أذكرها بترتيب ورودها في القصة، مقتصرأً على ذكر الكلمة التي لحق بها هذا العنصر الإحالي، وسأضع تحت كل عنصر منها خطأ، وما كان منها مستتراً فسيكتب بخط مائل (بين قوسين)، وسأذكر رقم الجملة ورقم الآية التي ورد فيها بعده؛ حتى تتضح المسافة الفاصلة بين العنصرين، ونفصيلها على النحو التالي:

كانوا ١ (٩)، الفتية ٢، فقالوا، ربنا، آتانا ٣، لنا، أمرنا ٤ (١٠)، آذانهم ٥ (١١)، بعثناهم ٦، لبثوا ٧ (١٢)، نبأهم ٨، إنهم، فتية، آمنوا، بربهم ٩، زناهم ١٠ (١٣)، قلوبهم ١١، قاموا، فقالوا، ربنا ١٣، ندعو(نحن)، قلنا ١٥ (١٤)، قومنا ١٦، اعتزلتموهم، فألوا، لكم، ربكم ٢٠، لكم، أمركم ٢١ (١٦)، كهفهم ٢٢، تقرضهم ٢٣، وهم ٢٤ (١٧)، وتحسبهم ٢٨، وهم ٢٩، نقلبهم ٣٠، كلبهم ٣١، عليهم، منهم، منهم ٣٢ (١٨)، بعثناهم، ليتساءلوا، بينهم ٣٣، منهم، لبثتم ٣٤، قالوا، لبثنا ٣٥، قالوا، ربكم، لبثتم ٣٦، فابعثوا، أحكم، بورقكم ٣٧، يأتكم ٣٩، بكم (١٩)، عليكم، يرجموكم ٤١، يعيدوكم ٤٢، تفلحوا ٤٣ (٢٠)، عليهم ٤٤، أمرهم ٤٦، عليهم ٤٧، ربهم، بهم ٤٨، أمرهم، عليهم ٤٩ (٢١)، (هم) ثلاثة رابعهم، كلبهم ٥٠، (هم) خمسة سادسهم، كلبهم ٥١، (هم) سبعة ثامنهم، كلبهم ٥٢، عدتهم ٥٣، ما يعلمهم ٥٤، فيهم ٥٥، فيهم ٥٦ (٢٢)، لبثوا، كهفهم ٦٠، وازدادوا ٦١ (٢٥)، لبثوا ٦٢ (٢٦).

وهذه العناصر الإحالية، موزعة على النحو الآتي:

أ- ضمير الغائبين (هم) ٤١ ويمثل ٥٠. ب- واو الجماعة (و) ١٦ وتمثل ١٩٥.



ج- ضمير المخاطبين (كم) ١٢ ويمثل ١٤و١/. د- ضمير المتكلمين

(نا) ٨ ويمثل ٩و٨/.

هـ- ضمير الخطاب للجمع (تم) ٢ ويمثل ٤و٢/. و- الفتيّة، فتيّة

٢ ويمثل ٤و٢/.

ز- ضمير المتكلمين (نحن) مستترأ ١ ويمثل ٢و١/.

يلاحظ على أنماط العناصر الإحالية، التي تحيل على العنصر

الإشاري الرئيسي في القصة، والذي يشير إلى أبطال القصة ما يلي:

١- أنها متنوعة، ففيها الضمائر بارزة ومستترة، للغائب وللمتكلم والمخاطب، وفيها الإحالة التكرارية epanaphora التي اعتمدت على تكرير لفظ الفتيّة، ولعل المراد من التكرير تذكير المخاطب بهم بعد مسافة من ذكرهم أول مرة بقصد التأكيد.

٢- أنها كلها من نوع الإحالة داخل النص، وهي كلها من الإحالة على السابق أو الإحالة بالعودة anaphora (٣٦)، (ذلك أن الإحالة على السابق هي أكثر أنواع الإحالة في النصوص) (٣٧) فهي جميعاً تعود على العنصر الإشاري الرئيسي في القصة، وقد سبق ذكره في الجملة الأولى في الآية الأولى من نص القصة، ثم تفرقت هذه العناصر الإحالية في الآيات، غير أنها تعود إليه ليفسرها، وترتبط بخيوط الإحالة إليه، ومن ثم ينشأ الترابط بينه وبينها، من جانب، وبينها وبين بعضها البعض من جانب آخر؛ فهي جميعاً مشتركة في الإحالة عليه، فإذا علمنا أن

٣٦- ينظر نسيج النص ص ١١٨.

٣٧- نسيج النص ص ١١٩.

العناصر الإحالية موزعة على جميع آيات القصة، عرفنا أن الآيات مترابطة بعضها ببعض جميعاً، ذلك أنها تحتوي جميعاً عناصر تعود على عنصر إشاري واحد؛ مما يجعلنا نؤمن مع هارفيج ومن تبعه بأن ظاهرة الإضمار "واحدة من أهم الشرائط النحوية التركيبية الأساسية لتتسق النصوص.. فهذا الاستبدال substitution (الإضمار) يضمن عند هارفيج - بعد تحقّقه - وحدة سياق النص، بل إن سلاسل الإضمار حسب نظريته الأساسية هي الوسيلة الحاسمة في بناء النص، ولذلك يعرف النص بأنه "وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة"^(٣٨). ويمكن ملاحظة ذلك من إحصاء نصيب كل آية من العناصر الإحالية، وهي كما يلي:

الآية ٩ : ١، الآية ١٠ : ٦، الآية ١١ : ١، الآية ١٢ : ٢، الآية ١٣ : ٦،
الآية ١٤ : ٦، الآية ١٦ : ٧، الآية ١٧ : ٣، الآية ١٨ : ٧، الآية ١٩ :
١٥، الآية ٢٠ : ٤، الآية ٢١ : ٧، الآية ٢٢ : ١٣، الآية ٢٥ : ٣، الآية
٢٦ : ١.

٣- ومن هذا التوزيع ندرك أيضاً أن الإحالة هنا، على نحوين؛ من حيث المسافة بين العناصر الإحالية والعنصر الإشاري، فما جاء منها في الجملة الأولى والثانية فهي إحالة على المدى القريب، وقد ورد من هذا النمط، ضمير واو الجماعة في (كانوا)، في الجملة الأولى التي

³⁸- فولفانج هاينه من ديتير فيهفيجر مدخل إلى علم اللغة النصي ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي الرياض ١٩٩٩ ص ٢٣، وقد تعددت تعريفات النص بتعدد وجهات النظر المختلفة إلى النص وطرق تحليله ينظر تعريفات متعددة علم لغة النص ص ٩٩-١١٨.



تحتوي العنصر الإشاري المراقب، وفي الجملة التالية ورد لفظ (الفتية)، وهذان العنصران من نوع الإحالة على القريب؛ حيث لا يوجد فاصل من الجمل بين العنصر الإشاري وبينهما. وما عدا ذلك يعد من الإحالة على المدى البعيد cross-reference، مع ملاحظة زيادة بعد المدى كلما اقتربنا من نهاية القصة، إذ تتدرج المسافة من جملة واحدة، - وذلك بالنسبة للعناصر الإحالية الواقعة في الجملة الثالثة- إلى ٦٠ جملة وذلك للعنصر الإحالي الوارد في الجملة ٦٢.

٤- غلب على الإحالة هنا استخدام ضمير الغائبين؛ إذ يمثل نصف العناصر المستخدمة، ويليه في الاستخدام واو الجماعة، التي تدل في القصة على الغياب، وهما معاً يمثلان نسبة ٦٩و٥/ من مجموع العناصر الإحالية، وصرح بلفظ الفتية في موضعين، وهم في حكم ضمير الغائبين، من حيث كون هذا الضمير بديلاً عنهم، وبذا تكون النسبة ٧١و٩/؛ وذلك أن القصة عن جماعة غائبين.

٣- وبقية العناصر المستخدمة: ضميراً المخاطبين (كم، تم)، وضميراً المتكلمين (نحن، نا) وهي تمثل ٢٨و١/، وهي تدل على الحضور في موقعي الخطاب والتحاور؛ إذ تكلم الحق سبحانه على لسان أبطال القصة في الموقف الأول: عندما أعلنوا إيمانهم فيما بينهم، أو أمام ملكهم الجبار^(٣٩)، ثم آووا إلى الكهف (الآيات ١٤-١٦) والموقف الثاني: عندما بعثهم الله ليتساءلوا، ويتواصوا فيما بينهم (الآيات ١٩-٢٠)، "وضمير

³⁹ - الألويسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ٢١٨/١٥.

الخطاب في المواضع الأربعة (الأخيرة) للمبالغة في حمل المبعوث على ما أريد منه، والباقيين على الاهتمام بالتوصية"^(٤٠)

- ربنا ٣ (١٠)

وقد تبعه ١٧ عنصراً إحيائياً، جاءت على النحو التالي:

آتنا (أنت)، لندك ٣، وهبيء (أنت) ٤، (١٠)، برهم ٩ (١٣)، ربنا، رب ١٣، دونه ١٤ (١٤)، دونه ١٦ (١٥)، ربكم، رحمته ٢٠، ويهيئ (هو) ٢١، (١٦)، ربكم ٣٦ (١٩)، ربهم ٤٨ (٢١)، ربي ٥٣ (٢٢)، ربك ٥٨، ربي ٥٩ (٢٤)، ربك ٦٦ (٢٧)

أ- تكرار اللفظ ١٠. و"تكرار العنصر الذي يشير إلى نفس الشيء يسمى بالترديد recurrence (وهو) تمثيل للمعنى المقصود"^(٤١)، ويطلق عليه أيضاً ^(٤٢) epanaphora وهي نوع من الإحالة بالعودة على السابق داخل النص.

ب- ضمير الهاء ٣.

ج- ضمير المخاطب (أنت) مستتراً ٢. د- كاف الخطاب ١. هـ- الضمير (هو) مستتراً ١، والعنصر الإشاري ورد في الجملة ٣ من النص، وورد معه عنصران إحيائيان في نفس الجملة، وورد في الجملة ٤ عنصر إحيائي واحد، وما سبق يعد إحالة على القريب؛ لعدم وجود مسافة، وبقية العناصر الإحالية تعد من الإحالة على البعيد،

⁴⁰- روح المعاني ٢٣١/١٥ وما بين القوسين من تعبير الباحث.

⁴¹- الخطاب والمترجم ٣١٣-٣١٤.

⁴²- نسيج النص ص ١١٩.



لوجود مسافة تتدرج من ٥ جمل - بداية من العنصر الإحالي في لفظ (بربهم) في الجملة ٩- إلى ٦٢ جملة في العنصر الإحالي الوارد في لفظ (ربك) في الجملة ٦٦.

- لفظ الجلالة (الله) ١٨ (١٥)

وقد تبعه ١٣ عنصراً إحالياً؛ وردت كما يلي:

الله ١٩ (١٦)، الله ٢٥، الله ٢٦، يضلل (هو) ٢٧ (١٧)، الله ٤٥ (٢١)، الله ٥٧ (٢٤)، الله ٦٢ (٢٦)، له، به، وأسمع (به) ٦٣، دونه ٦٤، ولا يشرك (هو)، حكمه ٦٥.

أ- تكرار اللفظ ٦. ب- الهاء (هـ) ٥. ج- ضمير (هو) ٢. ويعد العنصر الإحالي الأول لفظ (الله) في الجملة ١٩، إحالة على القريب، لعدم وجود مسافة، وبقية العناصر الإحالية من نمط الإحالة على البعيد، حيث تتدرج المسافة الواقعة بين العنصر الإشاري وهذه العناصر، بين ٥ جمل للعنصر الإحالي لفظ (الله) في الجملة ٢٥، و ٤٠ جملة للعنصر الإحالي الوارد في لفظ (حكمه) في الجملة ٦٥.

١-١-٤- قومنا ١٦ (١٥)

وقد تبعه ١٠ عناصر إحالية؛ وردت على النحو التالي:

هوؤلاء قومنا.. ١٦ (١٥)، اتخذوا ١٦، يأتون ١٧ (١٥)، اعتزلتموهم، يعبدون ١٩ (١٦)، إنهم، يظهروا، يرجموكم ٤١ (١٩)، يعيدوكم، ملتهم ٤٢ (٢٠).

- واو الجماعة (الواو) ٦. ب- ضمير الغائبين (هم) ٣.

الإشارة بـ (هؤلاء) إلى قوم الفتية، وهي هنا إحالة على اللاحق cataphora القريب؛ فقد عادت على عنصر إشاري موجود بعدها في النص، وفي الجملتين ١٦، ١٧ عنصران إحاليان هما من نمط الإحالة على القريب، وما بعد ذلك يعد من الإحالة على البعيد، بمسافة جملة واحدة تزيد إلى ٢٥ جملة، للعنصرين (الواو، هم) الواردين في الجملة ٤٢.

وهذه الإحالة في خطاب الفتية_ هي في أذهانهم_ على قومهم الذين فروا منهم بدينهم، ظناً منهم أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم، وأن مدينتهم، التي فروا منها كما هي، وأن أهلها مازالوا على عبادتهم لآلهة الملك الجبار الذي فروا من بطشه، قبل أن يستيقظوا من لبثهم^(٤٣).

- الإحالة على عنصر إشاري محذوف وهو لفظ الناس ٤٤ (٢١)

وذلك في قوله تعالى: " وكذلك أعرنا عليهم (٢١)، والعنصر الإشاري المحذوف هنا هو " مفعول أعرنا الأول، لقصد العموم أي وكذلك أطلعنا الناس عليهم"^(٤٤)، والمراد بالناس هنا؛ الناس الذين أعرهم الله على أصحاب الكهف أحياء، بعد ما بعثهم، وهم أهل المدينة الجديدة وملكهم الصالح^(٤٥)، وقد عمل هذا العنصر المحذوف في ٥ عناصر إحالية، وردت في الكلمات الآتية:

⁴³- ينظر جامع البيان ١٥/١٤٢.

⁴⁴- روح المعاني ١٥/٢٣٢.

⁴⁵- ينظر جامع البيان ١٥/١٤٤.



ليعلموا ٤٥، يتنازعون ٤٦، بينهم، فقالوا، ابنوا ٤٧ (٢١)، وتصنيفها
كما يلي:

ضمير واو الجماعة ٤، الضمير (هم) ١. والإحالتان الواردتان في
الجملتين ٤٥، ٤٦ من نوع الإحالة على القريب، والإحالات الواردة في
الجملة ٤٧ هي من الإحالة على البعيد بمسافة جملة واحدة، وجميعها
من الإحالة على السابق.

- كلبهم ٣١ (١٨)

ويعمل هذا العنصر الإشاري في ٤ عناصر إحالية، وردت على
النحو التالي: ذراعيه ٣١ (١٨) كلبهم ٥٠، ٥١، ٥٢ (٢٢) أ- ضمير
الغائب المفرد (هاء) في موضع. ب- ثلاثة منها بالتكرار، والأولى
إحالة على المدى القريب، وتعد الإحالة بالتكرار في المواضع الثلاثة،
من الإحالة على المدى البعيد؛ لوجود مسافة بينها وبين العنصر
الإشاري تتدرج بين ١٨ جملة و ٢٠ جملة.

- أحدهم ٣٧ (١٩)

وهو يشير إلى واحد من الفتية، غير محدد، وقيل هو صاحب نفقتهم
واسمه يملخا^(٤٦) وقد أحيل إليه باستخدام ضمير المفرد الغائب
المستتر، في أربعة مواضع، كما يلي: فلينظر (هو) ٣٨، يأتكم
(هو) ٣٩، يتلطف (هو) يُشعرن (هو) ٤٠ (١٩)، وكلها في آية واحدة،
في جمل متعاقبة، فهي إحالة على المدى القريب في الجملة ٣٨، وعلى
المدى البعيد بمسافة جملة واحدة في الجملة ٣٩. والعنصر الإحالي

46- جامع البيان ١٤٤/١٥.

الأول من الإحالة على القريب، والثاني والثالث من الإحالة على البعيد، والمسافة جملة مع الثاني وجملتان مع الثالث.

- الشمس: ٢٢ (١٧)

وهو النجم المعروف، وقد عمل هذا العنصر الإشاري في ٤ عناصر إحالية، أداتها ضمير المفردة الغائبة، وهي كما يلي:

طلعت (هي)، تزاور (هي) ٢٢، غربت (هي)، تقرضهم (هي) ٢٣ (١٧)، وجميع العناصر الإحالية هنا من قبيل الإحالة على القريب، ومن نمط الإحالة بالعودة على السابق.

- أيُّ الحزبين ٧ (١٢)

وهو يعمل في ثلاثة عناصر إحالية؛ أحدها قريب وهو الضمير (هو) المستتر في قوله تعالى: "أحصى" (هو) ٧ (١٢) وهذه إحالة على القريب. والآخران يأتيان بعد مسافة كبيرة بالنسبة لفضاء النص، وقد استخدم في الثاني ضمير واو الجماعة، والمسافة بينه وبين العنصر الإشاري ٣٩ جملة، وفي الثالث اسم الموصول مع صلته، بمسافة قدرها ٤١ جملة، فهما إحالة على البعيد، وجميعها إحالة على السابق، وذلك في قوله تعالى: فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ٤٧... قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ٤٩ (٢١) والواو تحيل على الحزب الكافر، واسم الموصول وصلته يحيلان على الحزب المسلم (٤٧)

47- الطبري جامع البيان في تفسير القرآن دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤٩/١٥، وروح المعاني ١٣٦/١٥.



- آلهة ١٦ (١٥)

وقد عمل في عنصر إحالي واحد وهو ضمير جمع الغائبين (هم) في الجملة التالية في قوله تعالى: "هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ١٦ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ١٧ (١٥)". فهي إحالة على القريب السابق.

- المدينة ٣٧ (١٩)

وهو يعمل في عنصر إحالي واحد هو الضمير (ها) في الآية نفسها في قوله تعالى: "أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا" ٣٨ (١٩)، والإحالة بالعودة على السابق، وعلى المدى القريب.

- ورقكم ٣٧ (١٩)

في قوله تعالى: [فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ ٣٧] (١٩). الإشارة هنا إلى الورق وهي دراهمهم المضروبة، في موقف بعثهم وحوارهم، ووصف الورق بقوله تعالى (هذه) يشعر بأن القائل أحضرها ليناولها بعض أصحابه^(٤٨)، وهذه إحالة معجمية على عنصر معجمي مفرد، وهي من الإحالة على السابق القريب.

- الساعة ٤٥ (٢١)

وهذا أيضاً عنصر إشاري يعمل في عنصر إحالي واحد، هو ضمير المؤنث الغائب، في قوله تعالى: "وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ٤٥ (٢١)"، والإحالة بالعودة على السابق القريب.

⁴⁸ - روح المعاني ١٥/٢٢٩-٢٣٠.

- شيء ٥٧ (٢٣)

في قوله تعالى: ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً ٢٣، فالشيء هنا عنصر إشاري، عامل في عنصر إحالي واحد هو اسم الإشارة ذلك، الذي يحيل الذهن على الشيء، ويرتبط به، وهذه إحالة بالعودة إلى على السابق القريب.

وفي القصة مجموعة من العناصر الإشارية عمل كل واحد منها، في عنصر إحالي واحد، وأداته هي تكرار اللفظ، هذه العناصر هي: رحمة ٣ (١٠)، رحمته ٢٠ (١٦)، رشد ٤ (١٠)، ٥٩ (٢٤)، أمرنا ٤ (١٠)، بالحق ٨ (١٣) حق ٤٥ (٢١)، أمركم ٢١ (١٦)، السماوات والأرض ١٣ (١٤)، ٦٣ (٢٧). ذات اليمين ٢٢ (١٧)، ٣٠ (١٨). ذات الشمال ٢٣ (١٧)، ٣٠ (١٨). ولياً ٢٧ (١٧)، ولي ٦٤ (٢٦). أحداً في ١٩، ٢٢. وكل هذه إحالات من قبيل الإحالة على البعيد، وسوف يأتي تفصيلها عند بحث الاتساق المعجمي.

مما سبق نستنتج أن العناصر الإشارية العاملة في نص القصة عددها ١٤ عنصراً، وأن عدد العناصر الإحالية التابعة لها ١٤٨ عنصراً إحالياً، ومعنى ذلك أن مجموع العلاقات بين العناصر الإشارية، والعناصر الإحالية، تبلغ ١٤٨ علاقة، هي موزعة على عدد آيات القصة وعددها ١٩ آية، وتتضح كثافة هذه الإحالات، التي تدل بالتالي على كثافة درجة الاتساق أو التماسك في نص القصة، إذا قسمت هذه العناصر، على عدد الآيات، $148 + 14 = 162 = 9$ علاقات اتساق لكل آية تقريباً، وإذا قسمت على عدد الجمل أنتجت علاقتين لكل جملة.



وهذه عناصر نكرت في القصة مرة واحدة، ولم يتبعها، وكذا لم يسبقها عناصر إحالية ترتبط بها أو تتعلق بها، وتلك العناصر الإشارية هي: عجباً ١ (٩)، آذانهم ٥ (١١)، هدى ١٠ (١٣)، شططا ١٥ (١٤)، سلطان ١٧ كذباً ١٨ (١٥)، مرفقا ٢١ (١٦)، فجوة ٢٤، مرشدا (١٧)، الوصيد ٣١، رعباً ٣٢، (١٨)، أبدأ ٤٣ (٢٠)، أمرهم ٤٩ (٢١)، ريب ٤٥، بنياناً ٤٧، مسجداً ٤٩، (٢١)، مرأى ٥٥، (٢٢) شيء ٥٧ (٢٣)، حكم ٦٥ (٢٦).

وليس معنى أنها غير عاملة أنها تخلو من صلة بالنص، فبعض هذه العناصر الإشارية، لا يخلو من عناصر إحالية تربطها بعنصر إشاري عامل؛ فعلى سبيل المثال لفظ (آذانهم، أمرهم) يحتويان على عنصر إحالي يربطهما بالعنصر الإشاري الرئيسي وهو أصحاب الكهف، مما يجعلنا نقول بتضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في اتساق النص^(٤٩)، وهناك بعض العناصر متسقة معجماً أو اشتقاقياً، سيظهر أثرها في الاتساق المعجمي^(٥٠).

⁴⁹- ينظر الدكتور سعيد بحيري دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ص ٧٥-

⁵⁰- ينظر البحث ص ٣٥ وما بعدها.

١-١-٢- الإحالة الداخلية النصية *texophora*

"وهي إحالة عنصر معجمي على مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي)" (٥١)؛ لتفسيره، ولا يكفي لتفسيره عنصر معجمي مفرد، وقد ورد في نص القصة من هذا النمط ما يلي:

- نَبَأُهُمْ ٨ (١٣)

في قوله تعالى: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ٨] (١٣). فكلمة نَبَأُهُمْ عنصر إحالي يعود على القصة كلها، وهي تحيل بالعودة على السابق من مجمل القصة، (الآيات ٩-١٢)، وفيها ٧ جمل، وهي في الوقت نفسه، إحالة على اللاحق من تفصيل القصة (الآيات ١٢-٢٥)، وفيها ٦١ جملة؛ حيث جاءت هذه الإحالة النصية، بمثابة حلقة الاتساق الرابطة بين مجمل القصة وتفصيلها.

- اسم الإشارة (ذلك) ٢٥ (١٧)

في قوله تعالى: [وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ٢٢ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ٢٣ وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِّنْهُ ٢٤ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ٢٥ (١٧). الإشارة بذلك "إلى ما ذكر من التزاور والقرض في الطلوع والغروب يميناً وشمالاً" (٥٢)، وزاد الطبري على ذلك الضرب على آذانهم (٥٣)، وهو المذكور في قوله تعالى: [فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ٥ (١١)]، فاسم الإشارة يحيل على

51- نسيج النص ١١٩.

52- روح المعاني ١٥/٢٢٣، وينظر الكشف ٢/٤٧٥.

53- جامع البيان ١٥/١٤٠.



السابق، ويستحضره جميعاً في ذهن المتلقي، ويرتبط به من جانب، كما يربطه بما بعده من جانب آخر؛ فالعنصر الإحالي هنا عنصر يحتاج إلى كل ما أحال إليه - وهي مقاطع من النص - لتفسيره.

اسم الإشارة هنا يعد عنصراً لغوياً (إحالياً) جامعاً ومستحضراً لكل ما أشار إليه، وهو يحيل على السابق القريب، وهذا السابق نص مكون من ٣ جمل، ويحيل على نص آخر مكون من جملة واحدة، هي الجملة ٥ بمسافة ١٩ جملة.

- قوله تعالى: [لَيْتَسَاءَلُوا] ٣٣ (١٩).

إن هذا العنصر الإحالي، يحيل على اللاحق في الآية نفسها، حيث ورد بعده نص الحوار الذي يفصل ما دار فيما بين أصحاب الكهف عن مدة لبثهم، فنص الآية هو الذي يفسر هذا التساؤل وهو قوله تعالى: [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ٣٤ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ٣٥ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ] ٣٦ (١٩)، فالإحالة هنا على مقطع من النص، يحتوي ثلاث جمل.

- قوله تعالى: [إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ] ٤٦ (٢١).

فـ (يتنازعون) عنصر إحالي نصي، يفسره النص الذي بعده في الآية نفسها، من قول الفريقين اللذين أعتروا على أصحاب الكهف، فريق قال ببناء بنيان على أصحاب الكهف، والآخر عزم على أن يتخذ عليهم مسجداً، وذلك قوله تعالى: [فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا ٤٧ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ٤٨ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ٤٩ (٢١)]، ويجوز أن تكون الإحالة هنا على نص خارجي، وهو كلام

المتنازعين في أمر البعث من قوم الفتية قبيل بعثهم؛ فريق قال ببعث الأرواح دون الأجساد، والآخر قال ببعثهما جميعاً^(٥٤).

- اسم الإشارة ذلك ٣٣ (١٩)

في قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ] ٣٣ (١٩). والمعنى "كما أنماهم هذه الإنامة الطويلة وهي المفهومة مما مر، أيقظناهم فالمشبه الإيقاظ والمشبه به الإنامة"^(٥٥)، ومن هذا النص يُعلم أن الإشارة للمشبه به وهي الإنامة الطويلة مع حفظ الله تعالى لهم "من وصول واصل إليهم"^(٥٦)، المفهومة من قوله تعالى: [فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدًّا] ٥ (١١)، ومن قوله تعالى: [وَهُمْ رُقُودٌ] ٢٩ (١٨). ومن قوله تعالى: [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ٣٤ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ٣٥ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ٣٦] (١٩). ومن قوله تعالى: [وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ٦٠ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٦١] (٢٥).

إن اسم الإشارة هنا يحيل على سابق، كما يحيل على مكرره في اللاحق، وهو يحيل إحالة نصية، إذ يحيل على عدد من المقاطع النصية داخل النص، ومن ثمَّ كان اسم الإشارة هنا يقوم بإحالة متعددة، بحيث يمكن أن نطلق عليه مصطلح عنصر إحالي نصي مشترك، إذ يشترك في تفسيره عدد من المقاطع النصية داخل القصة، وهو يرتبط بهذه المقاطع النصية من جانب، كما يربطها بعضها ببعضها الآخر من جانب

⁵⁴- روح المعاني ١٥ / ٢٣٤.

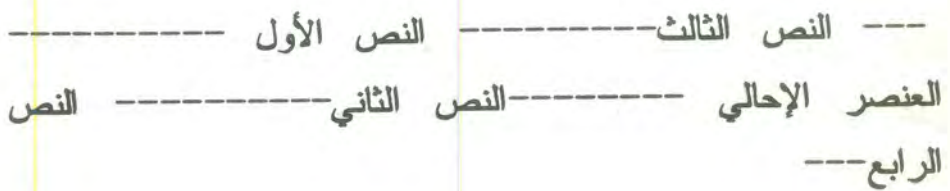
⁵⁵- روح المعاني ١٥ / ٢٢٩، وينظر الكشاف ٢ / ٤٧٦.

⁵⁶- جامع البيان ١٥ / ١٤٢.



ثان، ويستحضرها جميعاً في ذهن المتلقي من جانب ثالث، ثم إن الإحالة هنا إحالة على السابق البعيد، في الجملة ٥ بمسافة ٢٧ جملة، والجملة ٢٩ بمسافة ٣ جمل، وهي أيضاً إحالة على اللاحق القريب في الجملة ٣٤، ثم هي إحالة على اللاحق البعيد بداية من الجملة ٣٥، بمسافة جملة واحدة، وعلى الجملة ٦٠ بمسافة ٢٦ جملة، فاسم الإشارة هنا في منطقة وسطى بين المقاطع النصية؛ الأول والثاني من جانب، والثالث والرابع من جانب ثان.

ويمثلها الشكل الآتي:



- اسم الإشارة ذلك ٤٤ (٢١)

في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أعثرنا عليهم] ٤٤ (٢١). "أي كما أنماهم وبعثناهم؛ فالإشارة إلى الإمامة والبعث والإفراد (أي مجيء اسم الإشارة مفرداً) باعتبار ما ذكر ونحوه" (٥٧)، ومن هذا الكلام يتبين أن اسم الإشارة هنا يحيل على جميع القطع النصية التي أحال إليها اسم الإشارة السابق، من قوله تعالى: [فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا] ٥ (١١)، ومن قوله تعالى: [وهم رقود] ٢٩ (١٨). ومن قوله تعالى:

⁵⁷ - روح المعاني ٢٣٢/١٥، وينظر جامع البيان ١٤٩/١٥.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ٣٤ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ٣٥ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ٣٦]، (١٩). ومن قوله تعالى: [وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ ٦٠ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٦١] (٢٥).

ويضيف إلى ذلك إحالتين جديدتين إلى البعث المذكور في تركيبين سابقين في القصة؛ الأولى: إلى قوله تعالى: [ثم بعثناهم] ٧ (١٢). بمسافة ٣٦ جملة، والثانية إلى قوله تعالى: [وكذلك بعثناهم] ٣٣ (١٩). بمسافة ١٠ جملة.

والثالثة: الجملة ٥ بمسافة ٣٨ جملة، والرابعة الجملة ٢٩ بمسافة ١٤ جملة، والخامسة الجمل ٣٤، ٣٥، ٣٦، وهي الواردة في نص الحوار بين أصحاب الكهف بعضهم البعض بمسافة ٧ جمل. وبذلك يجتمع لهذا العنصر الإشاري النصي (ذلك) ٥ إحالات نصية على السابق البعيد.

ثم إن هذا العنصر الإشاري يحيل على اللاحق البعيد إلى الجملتين ٦٠، ٦١ بمسافة ١٦ جملة، فهذا عنصر إشاري نصي مشترك فعال في اتساق النص والجمع بين أطرافه، إذ أحال على ٦ قطع نصية، مجموع ما تتكون منه ٩ جمل.

- اسم الإشارة هذا ٥٩ (٢٤)

في قوله تعالى: [وقل عسى أن يهدينى ربي لأقرب من هذا رشداً] ٥٩ (٢٤) هذا إشارة إلى نبا أصحاب الكهف ومعناه: لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أنني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب



رشدًا من نبأ أصحاب الكهف" (٥٨)، وعلى ذلك تكون الإحالة هنا نصية، فهي تحيل إلى نص القصة جميعاً، إذ يحتاج اسم الإشارة هنا إلى نص القصة كله لتفسيره، وهو بذلك يرادف العنصر الإحالي النصي (نبأهم)؛ فكلاهما يحيل على نص القصة كلها، وهي تعد إحالة بالعودة على نص سابق يتكون من ٥٨ جملة.

١ - ١ - ٢ - الإحالة الخارجية *lexophora reference* (٥٩) or pragmatic

وهي إحالة إلى خارج النص، وفيها تعود الكنائيات إلى "أمور تستتبط من الموقف" (٦٠) وتلك الأمور هي العناصر الإشارية غير اللغوية، ويدخل فيها " كل عنصر غير لغوي يحال عليه باسم إشارة لتعيينه، أو بضمير المتكلم أو المخاطب" (٦١)، وهذه العناصر غير مذكورة في النص، لكنها موجودة في المقام الخارجي، ولذا فهي تسمى أيضاً إحالة مقامية pragmatic (٦٢) ولذلك تكون الإحالة إليها باستخدام

٥٨- الكشف ٤٨٠/٢.

٥٩- أطلق عليها الدكتور تمام حسان الإحالة لغير مذكور *exophoric Reference* النص والخطاب ص ٣٣٢، وأطلق عليها عبد القادر الفاسي مصطلح المراقبة المقامية pragmatic الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية في اللغة العربية ص ٣٧٧.

٦٠- النص والخطاب ٣٣٢.

٦١- نسيج النص ص ١٣١، والنص والخطاب ص ٣٣٣. يلاحظ أن هناك نوعاً من العناصر للإشارية وهذه تكون في النصوص القصصية التي لا تحتوي على عناصر تشير إلى ذات المتكلم أو المخاطب. ينظر في بناء النص ودلالته ٥٧- ٥٨.

٦٢- الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية ص ٣٧٦.

عناصر لغوية مثل إحالة المتكلم على ذاته، أو إحالته على غيره، لكن مهما تعددت أنواع الإحالة، فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع" (٦٣)

وفي قصة أصحاب الكهف عدد من العناصر الإشارية الخارجية غير اللغوية، التي دل عليها سياق الحال context of situation وقد أحيل عليها بمجموعة من العناصر الإحالية اللغوية، "ولسياق الحال أو المقام الحسي.. دور أساسي في الربط بين المضمرة الوارد في النص والمفسر الذي يرتبط به والموجود خارج النص" (٦٤)، وهذا يوضح "التفاعل المتبادل بين اللغة والموقف" (٦٥)، تلك العناصر الإشارية في القصة هي:

- لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى (المتكلم)

فقد أحال المتكلم سبحانه على نفسه في القصة بضمير العظمة (نا) في سبعة مواضع، وبضمير العظمة (نحن) بارزاً في موضع، ومستترأ في ثلاثة مواضع على النحو المبين فيما يلي:

آيَاتِنَا (٩) ١ فَضْرَبْنَا ٥ (١١) بَعَثْنَاهُمْ ٦ لِنَعْلَمَ (نحن) ٧ (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ (نحن) ٨ وَزَيْنَاهُمْ ١٠ (١٣) وَرَبَطْنَا ١١ وَنُقَلِّبُهُمْ (نحن) ٣٠ (١٨) بَعَثْنَاهُمْ ٣٣ (١٩) أَعْرَبْنَا ٤٤ (٢١)، فهذه عناصر إحالية متفرقة في

63- نسيج النص ص ١١٩.

64- نسيج النص ص ١٣٠.

65- النص والخطاب ٣٣٩.



فضاء النص، ومشاركة في الإحالة على المتكلم سبحانه مما يشكل تناسقاً بينها، وارتباطاً يسهم في تناسق النص وترابطه.

- الرسول صلى الله عليه وسلم

ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم هو المخاطب الأول، بالقرآن الكريم، ويكون هو المقصود بالخطاب أحياناً، أو هو ومعه غيره أحياناً ثانية، ويكون هو المخاطب لكن المقصود به غيره أحياناً أخرى، وفي القصة عناصر إحالية تحيل عليه صلى الله عليه وسلم، وذلك في مواطن خطاب المولى تعالى له في ٣١ موضعاً في نص القصة كما يلي:

أم حسبت ١ (٩)، عليك ٨ (١٣)، وترى (أنت) ٢٢ (١٧)، ذلك ٢٥ فلن تجد (أنت) ٢٧ (١٧) وتحسبهم (أنت) ٢٨، لو اطلعت، لوليت، لمثلت ٣٢ (١٨)، وكذلك ٣٣ (١٩)، وكذلك ٤٤ (٢١) قل (أنت)، ربي ٥٣ فلا تمار (أنت) ٥٥، ولا تستفت ٥٦ (٢٢)، ولا تقولن (أنت) إني ذلك ٥٧ (٢٣)، وانكر (أنت)، ربك إذا نسيت ٥٨ وقل (أنت)، يهديني، ربي ٥٩ (٢٤)، قل (أنت) ٦٢ أبصر (أنت)، أسمع (أنت) (٢٦)، وانت (أنت)، إليك، ربك ٦٦، تجد (أنت) ٦٨ (٢٧).

ففي قوله تعالى: "أم حسبت" خطاب لسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم، والمقصود غيره^(٦٦)، والإحالة هنا إلى خارج النص (أعني نص القصة) لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر باسمه الصريح، بل ذكر بالضمائر التي تعود إليه، وهي العناصر الإحالية، ذلك لأن المقام يغني

^{٦٦} - روح المعاني ٢٠٨/١٥، جامع البيان ١٣٠/١٥.

عن التصريح باسمه؛ فما من أحد إلا ويعلم أنه هو الذي نزل عليه القرآن، وأنه هو المخاطب الأول به، فإذا كان المقصود غيره هنا، كانت الإحالة خارجية أيضاً، يدل عليها المقام، (وهو سبب نزول القصة)، فالمقصود من الخطاب هم أصحاب الكتاب الذين أمروا قريشاً بسؤال النبي عن أصحاب الكهف^(٦٧)، وأهل الكتاب غير مذكورين في نص القصة.

فالإحالة هنا خارجية على اعتبارين؛ الأول: أن المرسل سبحانه وتعالى لم يذكر اسم رسوله صراحة في نص القصة. الثاني: أن الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولكن المقصود به غيره، وغيره أيضاً (أهل الكتاب) لم يرد لهم ذكر في نص القصة.

والخطاب في بقية العناصر الإحالية، للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "نقص عليك"^(٦٨)، "وترى"^(٦٩) وفي سائر ضمائر الخطاب والتكلم^(٧٠) السابقة، ولكنها تتضمن غيره من قارئ القرآن، فالخطاب بقوله تحسبهم" هو لكل أحد^(٧١).

ويمكن اعتبار هذه الإحالة داخلية، على اعتبار أن القصة جزء من نص كبير هو سورة الكهف، فتكون الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه

67- روح المعاني ص ٢٠٩.

68- جامع البيان ١٣٧/١٥، وروح المعاني ٢١٦/١٥.

69- جامع البيان ١٣٩/١٥، وروح المعاني ٢٢١/١٥.

70- ينظر جامع البيان ١٤١/١٥، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، وروح المعاني ٢٤٧/١٥، ٢٤٩، ٢٥١.

71- الكشف ٤٧٥/٢.



وسلم المذكور بلفظ لغوي يدل عليه، في أول آية من السورة في قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ" (١).

- اسم الموصول مَنْ

وهو عنصر إشاري، " ويكون اسم الموصول إشارياً إذا ما دل على ذات أو مفهوم جرت الإحالة عليها بعد ذكره في النص، وهذا يتعلق عادة بالاسم الموصول المشترك ما وَمَنْ " (٧٢)

وقد ورد اسم الموصول مَنْ في نص القصة ثلاث مرات، مكوناً عنصراً إشارياً مستقلاً، وكل منها في موضعه يشير إلى ذات لم تذكر من قبل في النص، وذلك في قوله تعالى: [فمن أظلم مِمَّنْ افترى (هو) على الله كذباً] ١٨ (١٥)، والمراد هنا مَنْ الثانية؛ حيث مثلت هي وصلتها (افترى) عنصراً إشارياً دل على ذات غير معينة، وقد جرت الإحالة عليه بضمير الغائب المستتر في افترى بعد ما ذكر في النص، وهو اسم عام (مشترك)، يشير إلى كل من افترى كذباً على الله تعالى؛ إذ الآية بمثابة القانون العام، ويدخل فيه قوم الفتية، لكونهم اتخذوا من دون الله آلهة، وتعد الإحالة هنا من نوع الإحالة بالعودة على السابق القريب.

- وفي قوله تعالى: [مَنْ يَهْدِ الله فهو المهتدي ٢٦ ومن يضلل (هـ) فلن تجد له ولياً مرشداً] ٢٧ (١٧).

فَمَنْ الأولى هنا عنصر إشاري عام (مشترك) لا يشير إلى شخص بعينه، وقد عمل في عنصرين إحاليين عادة إليه، وهما الهاء في يهده

⁷² - نسيج النص ص ١٥٣.

والضمير (هو)، فَمَنْ هنا وقعت في قانون إلهي عام، فهي (تشير إلى الفريق الذين اهتموا بآيات الله وحججه، من قوم نبيه صلى الله عليه وسلم) (٧٣)، وإن كانت قد تضمنت مدحاً للفتية (٧٤)، وَمَنْ أتى بعدهم من الأمم إلى يوم القيامة.

وكذلك مَنْ الثانية هي في قانون إلهي عام، وهي (تشير إلى كل) من كَذَبَ النبي صلى الله عليه وسلم فأضله الله (٧٥)، وقد عمل في عنصرين إحاليين هما الهاء المقدره في يضل والهاء في (له)، والإحالة هنا من نوع الإحالة بالعودة على السابق، ومن نوع الإحالة على القريب؛ لأن الإحالة في الموضعين داخل الجملة التي تحتوي العنصر الإشاري.

- واو الجماعة (٢٢)

في قوله تعالى: [سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ٥٠ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ٥١ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ٥٢] (٢٢)؛ فالواو في الأفعال الثلاثة لليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم (٧٦)، وعلى قول آخر الواو الأولى لليهود، والثانية للنصارى والثالثة لبعض المسلمين (٧٧)، وعلى الأخير يمكن توجيه الإحالة بواو الجماعة على وجهين.

73- جامع البيان ١٥/١٤١.

74- الكشاف ٢/٤٧٥.

75- جامع البيان ١٥/١٤١.

76- روح المعاني ١٥/٢٤٠.

77- روح المعاني ١٥/٢٤٥.



الأول: أنها إحالة خارجية على اعتبار أن هذه الفرق الثلاثة اليهود والنصارى والمسلمين لم يجر ذكرهم في نص القصة.

الثاني: أنها إحالة داخلية على أساس أن الله تعالى ذكرهم جميعاً في بداية السورة، حيث ذكر المسلمين في قوله: "ويبشر المؤمنين" (٢)، وذكر اليهود والنصارى في قوله: "وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً" (٤)، وكلا الفريقين قال ذلك؛ [قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابنُ الله] (التوبة ٣٠)، وتكون هذه الإحالة بالعودة على السابق، كما أنها إحالة على المدى البعيد فالمسافة الفاصلة بين العنصر الإحالي الأول، والعنصر الإشاري (المؤمنين) بـ ١٩ آية، وتقدر المسافة الفاصلة بين العنصرين الإحاليين الثاني والثالث (الذين وصلته) بـ ١٧ آية.

- اسم الإشارة (ذلك) ٥٧ (٢٣) -

في قوله تعالى: [وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ] ٥٧ (٢٣). والمعنى " أي لأجل شيء تعزم عليه (إنني فاعل ذلك) الشيء غداً " (٧٨) فالإشارة هنا إلى شيء، والكلمة هنا نكرة تفيد العموم، فالإشارة إلى كل شيء يعزم النبي صلى الله عليه وسلم على عمله؛ "فيما يستقبل من الزمان مطلقاً، وهو تأكيد لما يدل عليه اسم الفاعل ويدخل فيه الغد بمعنى اليوم الذي يلي يومك وهو المتبادر دخولاً أولياً" (٧٩)، ويدخل ضمن دلالة ذلك الشيء، ما يشير إليه سياق الحال وهو سبب

78- روح المعاني ٢٤٧/١٥.

79- روح المعاني ٢٤٧/١٥.

نزول الآيات فقد "نزلت حين سألت قريش الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح، وأصحاب الكهف وذوي القرنين، فقال عليه الصلاة والسلام: غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه- صلى الله عليه وسلم- الوحي خمسة عشر يوماً..."^(٨٠) ويؤيد دلالة العموم في لفظ الشيء هنا سياق الحال وهو "أن هذا موقف "تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ عهد إليه ألا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة إلا أن يصله بمشيئة الله... وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه"^(٨١)، ومن هنا كان اسم الإشارة هنا يحيل إحالة معجمية على السابق القريب داخل النص وهو كلمة شيء التي تعد في جانب منها مبهمة، ويكشف عن إيهامها سياق الحال.

كما تحيل إلى كل فعل يعزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في مقبل حياته، من بعد نزول الآية، وبذلك يكون اسم الإشارة قد أحال بطريق غير مباشر، إحالة نصية خارجية على نص كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الوارد في سبب النزول، وهو قوله: (سأخبركم عنها غداً)؛ لأنه من دون العودة إلى هذا السياق الخارجي، ما كان يتضح المراد من اسم الإشارة، وما يحيل عليه.

بل إن اسم الإشارة هنا في هذا السياق الخارجي، يستدعي أيضاً الإجابة عن أسئلة قريش الثلاثة، عن الروح وقد وردت في سورة الإسراء في قوله تعالى: [ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي

⁸⁰- روح المعاني ١٥ / ٢٤٧، وينظر الكشف ٢ / ٤٨٠.

⁸¹- جامع البيان ١٥ / ١٥١.



وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] (٨٥)، وعن أصحاب الكهف وذوي القرنين وقد وردت الإجابة عنهما في سورة الكهف، فالعنصر الإحالي هنا عنصر مشترك، بمعنى أنه معجمي من جانب ونصي من جانب آخر، وأنه يحيل على عنصر داخل النص، كما يحيل على عنصر خارجي مستفاد من سياق الحال.

٢-١- الحذف ellipsis

والحذف من الظواهر المشتركة بين "اللغات الإنسانية. حين يميل المتكلم إلى حذف العناصر المكررة أو التي يمكن فهمها من السياق" ^(٨٢) ويسمي أحياناً "الاكتفاء بالمبنى العدمي substitution by zero ^(٨٣) وهو يسهم في ربط " نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يقطع من البنية السطحية " ^(٨٤)، فهو إذن يكشف عنه بالبحث في البنية العميقة، التي شكلت البنية السطحية للنص، والتي أثر في تشكيلها سياق الحال.

والحذف على أنواع؛ الحذف الاسمي وهو حذف العناصر الاسمية، والحذف الفعلي، وهو حذف العناصر الفعلية، والحذف داخل ما يشبه الجملة ^(٨٥)، أي الجمل التي يبدو من بنيتها السطحية أنها غير مكتملة المعنى إذا قطعت عن سياقها الحالي.

والحق إن الحذف لا يقتصر على ما ذكر، بل إنه يمتد إلى الجمل المتتالية، التي ربما شكلت نصاً محذوفاً داخل النص الذي أبلته البنية

^{٨٢} - الدكتور عبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩،

ص ١٤٩.

^{٨٣} - النص والخطاب ٣٤٠.

^{٨٤} - النص والخطاب ٣٤٥.

^{٨٥} - الدكتور أحمد عفيفي نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق

القاهرة ٢٠٠١ ص ١٢٧.



السطحية، وبخاصة في القصص^(٨٦)، بل الإشارة في الحذف - على وجه الخصوص - تكون إلى الجمل والعبارات، باعتبار أن مبناها يُفترض معه عناصر لغوية سابقة، وحينئذٍ تعد هذه العناصر اللغوية المفترضة مصدراً للمعلومات المفقودة، والعنصر المحذوف أينما كان، يترك فراغاً تركيبياً معيناً كي يعوّض في مكان آخر^(٨٧)، ومن هنا تحدث عملية الربط بين الفراغ التركيبي والعنصر المذكور الذي يقوم بالتعويض عن المحذوف وتفسيره في نفس الوقت.

وفي قصة أصحاب الكهف نجد من الحذف الأنواع الآتية:

١-٢-١ - الحذف الاسمي:

- في قوله تعالى: [فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ] (١١) "أي ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع فالمفعول محذوف"^(٨٨)، بدلالة الوظيفة الصرفية (التعدية) للفعل ضرب.

- قوله تعالى: [لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ] (١٥). أي هلا يأتون على عبادتهم^(٨٩)، أو على ألوهيتهم^(٩٠) فالمضاف محذوف^(٩١)

⁸⁶ - ينظر على سبيل المثال الحذف في قصة يوسف عليه السلام، الدكتور تمام حسان كتاب البيان في روائع القرآن ج ٢/ ٣٦٠ - ٣٦٢.

⁸⁷ - cohesion in English, p. 143.

⁸⁸ - روح المعاني ٢١١/١٥.

⁸⁹ - جامع البيان ١٣٨/١٥، والكشاف ٤٧٤/٢.

⁹⁰ - روح المعاني ٢١٩/١٥.

⁹¹ - روح المعاني ٢١٩/١٥.

- في قوله تعالى: [فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ٢٠] (١٦). " مفعول ينشر محذوف أي الخير ونحوه" (٩٢)
- قوله تعالى: " تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال" (١٧)
- وقوله: تزاور عن كهفهم ذات اليمين ٢٢ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ٢٣ (١٧)، [وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ٣٠] (١٨). حذف الموصوف هنا وهو كلمة جهة أي جهة ذات اليمين، وجهة ذات الشمال في المواضع الأربعة في الآيتين (٩٣)، وقد اعتمد هذا الحذف على فهم المخاطب (٩٤).
- قوله تعالى: [أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا] (١٩). والكلام على تقدير مضاف أي أهلها" (٩٥)
- قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ ٤٤ (٢١) "مفعول أعترنا الأول محذوف لقصد العموم أي وكذلك أطلعنا الناس عليهم" (٩٦)
- قوله تعالى: " سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ٥٠ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ ٥١ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ٥٢ (٢٢) المبتدأ محذوف في المواضع الثلاثة والتقدير هم ثلاثة، هم

٩٢- روح المعاني ٢٢١/١٥.

٩٣- روح المعاني ٢٢٢/١٥، ٢٢٤.

٩٤- روح المعاني ٢٤٢/١٥.

٩٥- الكشف ٢٧٧/٢..وهذا على أحد وجهين ثانيهما أن يكون الاستخدام هنا مجازي على أن يكون المراد بالمدينة أهلها ولا حنف. روح المعاني ٢٣١ / ١٥.

٩٦- روح المعاني ٢٣٢.



خمسة، هم سبعة^(٩٧)، وكذلك تمييز العدد محذوف وتقديره أشخاص^(٩٨)، أي ثلاثة أشخاص..الخ، وهذا الحذف يدل عليه السياق اللغوي السابق؛ فالمحذوف هنا يحيل على المذكور السابق.

- قوله تعالى ٥٣ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ٥٤ (٢٢). هنا محذوف والتقدير "ما يعلم عدتهم على ما ينساق إلى الذهن نظراً إلى المقام"^(٩٩)، فالاسم المحذوف هنا يعد عنصراً إحالياً يحيل إحالة خارجية، إلى سياق الحال المتمثل في اختلاف الخائضين في عدة أصحاب الكهف.

- قوله تعالى: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ] ٥٨ (٢٤). "الكلام على حذف مضاف" أي اذكر "مشيئة ربك"^(١٠٠)، وهذا المحذوف يمثل إحالة بالعودة على نص قريب سابق وهو قوله تعالى: [وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٥٧ (٢٤)]

١-٢-٢ - الحذف الفعلي:

- قوله تعالى: [إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ] (١٠)، إذ هنا معمول لفعل تقديره اذكر^(١٠١).

- قوله تعالى: [لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً (١٨) نَصِبَ فِرَاراً عَلَى الْمَصْدَرِيَّة؛ إما لأنه من معنى ولي "أو لفررت محذوفاً"^(١٠٢)

٩٧- جامع البيان ١٤٩/١٥، روح المعاني ١٥ / ٢٤٠.

٩٨- روح المعاني ١٥ / ٢٤١.

٩٩- روح المعاني ١٥ / ٢٤٢.

١٠٠- الكشف ٤٨٠/٢، وروح المعاني ١٥ / ٢٤٩.

١٠١- وذلك على أحد توجيهات ثلاثة والتوجيهان الآخران هما أنه معمول عجباً، أو كانوا، روح

المعاني ١٥ / ٢٠٨.

قوله تعالى: [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] ٥٧ (٢٤). "ومعنى الكلام إلا أن تقول معه إن شاء الله فترك ذكر تقول اكتفاءً بما ذكر منه؛ إذ كان في الكلام دلالة عليه" (١٠٣)، فقامت الدلالة على المحذوف مقام العنصر الإشاري، وقام المحذوف مقام العنصر الإحالي؛ لأن المذكور يفسر المحذوف، فالحذف يقوم هنا مقام الإحالة على اللاحق.

١-٢-٣- حذف التراكيب:

في قوله تعالى: "[إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ] ٩ (١٣) هذا استئناف مبني على السؤال من قِبَلِ المخاطب" (١٠٤)، فكأن المخاطب بعد ما سمع قوله تعالى [نحن نقص عليك نبأهم بالحق] ٨ (١٣) سأل فقال فما نبؤهم؟ فجاءت الإجابة.

قوله تعالى: [لَقَدْ قُلْنَا إِذْنًا شَطَطًا ١٥ (١٤)] "في الكلام قَسَمَ مَقْدَرُ وَاللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِهِ، وَإِذْنٌ حَرْفُ جَوَابٍ وَجَزَاءٌ فَتَدُلُّ عَلَى شَرْطٍ مَقْدَرٍ أَيْ لَوْ دَعَوْنَا وَعَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا وَاللَّهُ لَقَدْ قُلْنَا الْخ" (١٠٥)

قوله تعالى: [وَنَرَى الشَّمْسَ] ٢٢ (١٧). بيان لحالهم بعد ما أَوْوَأُوا إِلَى الْكَهْفِ، وَلَمْ يَصْرَحْ سُبْحَانَهُ بِهِ تَعْوِيلًا عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: [إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ] ٢ (١٠) وما لحق من إضافة الكهف

102- روح المعاني ١٥/٢٢٧.

103- جامع البيان ١٥/١٥١.

104- روح المعاني ١٥/٢١٧.

105- روح المعاني ١٥/٢١٩.



إليهم وكونهم في فجوة منه... وقد حذف سبحانه جملاً أخرى لا تخفى" (١٠٦) فالحذف هنا اعتمد على ما ذكر سابقاً؛ فقام - في الربط - مقام الإحالة على السابق البعيد بمسافة ١٩ جملة.

قوله تعالى: [وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً ۚ وَهُمْ رُقُودٌ] ٢٩ (١٨) قيل في الكلام حذف والتقدير ولو رأيتهم تحسبهم (١٠٧)

قوله تعالى: "فابعثوا أحدكم" ١٩. قال الزمخشري: "إن قلت: كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة؟ قلت: كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهتمكم" (١٠٨).

ولا شك أن هنا أحداثاً محذوفة، تفهم من سياق الحال وفحواها أنهم بعثوا أحدهم، فذهب إلى المدينة، ودخلها متخفياً، فلما حاول أن يشتري طعاماً بالورق التي كانت معه اكتُشِف أمره وأمر أصحابه، وتبعه أهل المدينة إلى الكهف، حتى رأوهم وعاینوا آية البعث بعد الموت (١٠٩) قوله تعالى: "وكذلك أَعَثَرْنَا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق.... فقالوا ابنوا عليهم بنياناً" ٤٧ (٢١)،

جاء الحذف هنا على دأب اختصارات القرآن كأنه قيل وكذلك أَعَثَرْنَا الناس على أصحاب الكهف حين تنازعهم في أمر البعث

106- روح المعاني ٢٢١/١٥.

107- روح المعاني ٢٢٤/١٥.

108- الكشف ٤٧٦/٢.

109- ينظر جامع البيان ١٤٦/١٥ - ١٤٧، و الكشف ٤٧٨/٢، و روح المعاني ٢٣٤/١٥.

فتحققوا ذلك، وعلموا أن هؤلاء آية من آياتنا، فتوفاهم الله تعالى بعد أن حصل الغرض من الإعثار فقالوا ابنوا إلى آخره" (١١٠)
 قوله تعالى: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم" الآية ٢٢. "كأنه قيل سيقولون إذا قصصت قصة أصحاب الكهف أو إذا سئلوا عن عدتهم" (ثلاثة) (١١١)

¹¹⁰ - روح المعاني ٢٣٤/١٥، ٢٣٥. وينظر الكشف ٢/٢٧٧.

¹¹¹ - روح المعاني ٢٤٠/١٥.



١-٣- الربط conjunction

"إذا كان إعادة اللفظ.. والإحالة.. والحذف.. تحافظ على بقاء مساحات المعلومات، فإن الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في المساحات" (١١٢)، ويكون الربط بأدوات ملفوظة كواو العطف والفاء وأو، كما تكون بوسائل غير ملفوظة وعلاقات مفهومية منطقية (١١٣)

والربط على نوعين: الأول الربط الخطي المتصل، والثاني الربط الخطي المنفصل.

١-٣-١ - الربط الخطي المتصل

والمراد هنا الربط الخطي التتابعي الذكري، وهو يعني "التتابع في الزمان، وهو ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن، حيث يوافق سرد الأحداث في النص تتاليها.. في الزمن الحقيقي" (١١٤)، وقصة أصحاب الكهف تحتوي عدداً من الأحداث المتتالية زمنياً، وهذه الأحداث تتمثل في الأفعال الواردة في القصة، لكن هذه الأحداث أتت في صورتين؛ صورة مجملة، وصورة مفصلة؛ أما الصورة المجملة فهي تتكون من أربعة أحداث (أفعال) متتالية هي:

١- [أوى الفتية إلى الكهف] ٢ (١٠) ٢- [فقالوا ربنا] ٣، ٤ (١٠)

٣- [فضربنا على آذانهم] ٥ (١١) ٤- [ثم بعثناهم] ٦ (١٢)

112- النص والخطاب ٣٤٦.

113- النص والخطاب ٣٤٧، ٣٥٢.

114- نسيج النص ٤٦.

هذا هو مجمل أحداث القصة، وهي أحداث مرتبة ترتيباً زمنياً، موافقاً لما حدث في الواقع؛ إذن فبين هذه الأحداث ترابط يتمثل في التتابع الزمني المتصل؛ وقد عبرت عنه أداة العطف (الفاء)؛ فأفادت الترتيب مع التعقيب في الربط بين الأحداث الثلاثة الأولى، (وثم) التي أفادت الترتيب مع التراخي، في الربط بين الحدث الرابع والذي سبقه، ولم تصرح الآيات بالمسافة الزمنية الفاصلة بين الحدث الرابع وما سبقه في مجمل القصة، لكنها صرحت بهذه المدة الزمنية في تفصيل القصة، وذكرت أنها ٣٠٩ من السنين، في قوله تعالى: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ۖ وَازْدَادُوا تِسْعًا ٦١ (٢٥)"

وأما الصورة المفصلة فتتكون من الأحداث التالية:

- ١- آمَنُوا ٢- وَزِدْنَاهُمْ ٣- وَرَبَطْنَا على قلوبهم
- ٤- إِذْ قَامُوا ٥- فَقَالُوا ٦- اتخذوا من دونه آلهة
- ٧- اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ٨- فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ٩- بَنَشْرَ لَكُمْ رُبَكُمْ
- من رحمته ١٠- وَيَهَيِّئْ لَكُمْ ١١- وَتَرَى الشَّمْسَ ١٢- إذا
- طلعت ١٣- تَرَاوَرَّ عَنْ كَهْفِهِمْ ١٤- وإذا
- غربت ١٥- تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ١٦- وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا،
- وهم رقود. ١٧- وَنَقَلْبُهُمْ ١٨- لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ ١٩-
- لوليت منهم ٢٠- وَلَمَلَأْتُ ٢١- وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ٢٢-
- لِيَتَسَاءَلُوا ٢٣- قَالَ قَائِلٌ ٢٤- قَالُوا ٢٥- قَالُوا
- ٢٦- فَابْعَثُوا ٢٧- فَلْيَنْظُرْ ٢٨- فَلْيَأْتِكُمْ ٢٩-
- وَلْيَتَلَطَّفْ ٣٠- وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ ٣١- إِنْ يَظْهَرُوا



عليكم ٣٢- يرموكم ٣٣- أو يعيدوكم ٣٤- ولن تفلحوا
 ٣٥- أعثرنا عليهم ليعلموا ٣٦- إذ يتنازعون بينهم ٣٧- فقالوا
 ٣٨- قال الذين غلبوا ٣٩- لنتخذن عليهم ٤٠- سيقولون
 ثلاثة ٤١- ويقولون خمسة ٤٢- ويقولون سبعة
 ٤٣- قل ربي أعلم ٤٤- ما يعلمهم إلا قليل ٤٥- فلا تمار
 ٤٦- ولا تستفت فيهم ٤٧- ولا تقولن ٤٨- وانكر ربك
 إذا نسيت ٤٩- وقل عسى.... ٥٠- قل الله أعلم
 بما لبثوا.

وفي هذا التفصيل نجد أحداثاً رئيسية تمثل خطأ زمنياً متتابعاً من أول القصة حتى نهايتها، ويتخلل هذا الخط الزمني أحداث فرعية، منها ما يحكي أحوال أصحاب الكهف، ومنها ما يحكي موقف أهل الكتاب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وبعضها يحكي توجيه الحق سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الأحداث الرئيسية التي تشكل خطأ زمنياً متتابعاً يربط أحداث القصة من أولها إلى آخرها، فهي الأحداث التي وضع تحتها خط، وقد استخدمت الواو في الربط بين الأحداث الثلاثة الأولى، والربط بالواو هنا يفيد الجمع بين هذه الأحداث، ويفيد سياق الحال المتتابع الزمني بينها، فالفتية آمنوا وزادهم الله هدى وربط على قلوبهم، كما يفهم من هذا الربط دلالة السببية؛ حيث كان إيمانهم سبباً لزيادة الهدى والربط على قلوبهم.

ويأتي الربط بـ (إذ) بين الحدث ٣ والحدث ٤ ليفيد تزامن الحدثين الربط على قلوبهم مع قيامهم، فهما حدثان متزامنان، وتاليان على الحدث ٢، وأتي الربط بالفاء، بين الحدث ٤ والحدث ٥ ليدل على الترتيب والتعقيب، ويأتي الربط بالواو بين الحدث ٥ والحدث ٧، وهو يفيد الجمع بين الحدثين، ويفيد سياق الحال الدلالة على الترتيب الزمني مع وجود مسافة بينهما، ثم تربط الواو بين الحدثين ٩، ١٠ لتفيد مجرد الجمع بينهما، ويأتي الربط بالواو، بين الحدث الرئيسي ٢١ وبين حدث محذوف مفهوم من السياق، والتقدير وكما أرقدناهم بعثناهم، والربط بالواو يفيد هنا الجمع بين الحدثين مع الترتيب الزمني والتراخي، وقد سبقت الدلالة عليه في مجمل القصة في قوله تعالى: "ثم بعثناهم" (١٢).

ثم يأتي الربط بين الحدث ٢١ والحدث ٢٢ بلام التعليل التي تبين علة البعث، أو بلام العاقبة التي تفيد أن الغرض من البعث هو إظهار كمال قدرته^(١٥) سبحانه، وعلى كل فقد بعثهم الله تعالى ليتساءلوا فيما بينهم عن مدة لبثهم وقد كان، وكذلك ظهرت قدرة الخالق على البعث لهم ولغيرهم، وجاء الربط بين الأحداث ٢٣، ٢٤، ٢٥، بفاء محذوفة تفيد الترتيب والتعقيب، دل على ذلك سياق الحال؛ إذ هم كانوا في حوار وهذا يقتضي تتابع أقوالهم فيما بينهم بين سائل ومجيب.

ثم عطف بالفاء الحدث ٢٥ على محذوف قبله، وكذا استمر الربط بالفاء بين الأحداث ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، لتفيد الترتيب والتعقيب، مع إفادة دلالة الاستقبال بالنسبة لموقف الحوار بينهم، في الأفعال الثلاثة

^{١١٥} - روح المعاني ٢٢٩/١٥.



الأخيرة، ثم جاء العطف بالواو على أحداث محذوفة أي كما أنماهم وبعثناهم أعثرنا عليهم والمعطوف هو (أعثرنا)، ولاشك أن بينه وبين ما عطف عليه ترتيب مع التراخي، لكن المسافة الزمنية غير مذكورة في النص، وهذه المسافة تعبر عنها أحداث محذوفة، دلت عليها الأحداث من ٢٦ إلى ٣٠.

وجاء الربط بإذ بين الحدث (أعثرنا) لأنه متعلق به، والمعنى " أعثرنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة.. حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناهم" (١١٦)، وقد أفاد هذا الربط تزامن الحدثين ٣٤، ٣٥، وعطف الحدث ٣٦ على حدث محذوف والتقدير فتوفاهم فقالوا، هذا على أن الضمير في (أمرهم) للمعثرين، وجوز أن يكون الضمير فيه للفتية، وعليه يكون العطف بالفاء ترتيباً وتعقيباً على (يتنازعون) (١١٧)، ودلت الفاء في الحاليين على الترتيب والتعقيب، ثم يأتي الحدث ٣٨ ليتم أحداث القصة، بقول فريق المؤمنين وبنائهم المسجد على باب الكهف (١١٨)

- والأحداث من ١١ إلى ٢٠ وصف لحال أصحاب الكهف، أثناء رقودهم في كهفهم، وهذه الأحداث تدل دلالة زمنية على جميع مدة لبثهم.

١١٦- جامع البيان ١٥/١٤٩، والكشاف ٢/٤٧٧.

١١٧- روح المعاني ١٥/٢٣٥.

١١٨- الكشاف ٢/٢٧٧ وروح المعاني ٢٣٦..

التعاقب على أساسين: ١- "الترديد أو التذكير وهو أمر يجري عادة بين متباعدتين" ٢- "إضافة عنصر إخباري جديد" (١٢٠)؛ ذلك أن الضرب على الأذان واللبث ذُكِرَا من قبل، لكن اللبث كرر بعد هذا الفاصل الكبير بالنسبة لفضاء نص القصة، التي تستغرق تسع عشرة آية، ويأتي التكرير مع عنصر إخباري جديد كان المتلقي يتشوق إلى معرفته، فمقدمة القصة أتت بعبارة تتضمن معنى الاستفهام (١٢١)، عن مدة اللبث في الآية ١٢. ثم جاءت الآية ٢٥ وهي الآية التي قبل آخر آية في القصة لتجيب هذا التساؤل.

الربط بكاف التشبيه

ورد ذلك مرتين في نص القصة: ١- في قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ] ٣٣ (١٩)؛ أي كما أنماهم أيقظناهم (١٢٢) فالكاف ربطت بين حدثين هما المشبه به أنماهم المفهوم من قوله تعالى: [فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ] ٥ (١١)، والمشبه ببعثناهم وبينهما مسافة ٢٧ جملة، وهذا يعد بمثابة الإحالة بالعودة على السابق البعيد.

٢- في قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ أَعِثْنَا عَلَيْهِمْ] ٤٤ (٢١)، أي كما أنماهم وبعثناهم أَعِثْنَا عَلَيْهِمْ (١٢٣)؛ فالكاف هنا رابطة بين المشبه به، المتمثل في حدثين سابقين هما أنماهم وبعثناهم المذكورين آنفاً، والمشبه أَعِثْنَا

120- نسيج النص ص ٥٦.

121- الكشف ٤٧٣/٢.

122- روح المعاني ٢٢٩/١٥.

123- روح المعاني ٢٣٢/١٥.

عليهم، وبين المشبه والحدث الأول ٣٨ جملة، وبينه وبين الحدث الثاني ١٠ جمل، وهذا الربط يقوم مقام الإحالة بالعودة على السابق البعيد.



٢- الاتساق الدلالي (١٢٤)

والمراد به "الربط الذي يعتمد نوع العلاقة (الدلالية) في الجمع بين العنصرين المتتابعين" (١٢٥)، وفائدة هذا الربط "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء" (١٢٦) وقد تحدث علماء علوم القرآن عن هذا النوع من الربط تحت ما أسموه "أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض".

وقسموا ذلك إلى نوعين؛ النوع الأول: يظهر فيه الارتباط بين الآيتين "لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى (أي بالآية الأولى).. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض" النوع الثاني: لا يظهر فيه الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به" (١٢٧)، والنوع الثاني على قسمين:

¹²⁴ - وضع علماء علوم القرآن تحت مصطلح المناسبة، كثيراً من أشكال اتساق النص من النواحي الشكلية والدلالية، قال الزركشي: "المناسبة في اللغة المقاربة... وجعل منها "المناسبة في فواتح الآي وخواتمها؛ ومرجعها.. إلى معنى ما رابط بينها: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر. الزركشي البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م ٣٥/١.

¹²⁵ - نسيج النص ص ٤٨.

¹²⁶ - البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.

¹²⁷ - البرهان في علوم القرآن ٤٥/١.

القسم الأول: أن يكون بين الآيتين عطف، أو يكون بينهما مضادة.
 القسم الثاني: ألا تكون معطوفة على ما قبلها وهنا، لابد من دعامة
 تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط^(١٢٨)، وقد ذكر
 الدكتور تمام حسان عددا من هذه الأنواع، التي تتدرج تحت الربط
 المعنوي، وهي علاقة السببية والعلاقة التفسيرية، والنقض والإبطال،
 والعلاقة الشرطية، وعلاقة الملازمة، وعلاقة الإلزام، وعلاقة الالتزام،
 وعلاقة الإجابة عن سؤال^(١٢٩).

وهناك علاقات أخرى، وسوف أذكر فيما يلي ما جاء في القصة من
 علاقات معنوية، أسهمت في اتساق نص القصة. إذ "من المنطق.. أن
 تطبق العلاقات القائمة بين الوحدات النحوية.. على مستوى الدلالة
 (على أنها علاقات بين القضايا) وهي تصلح أن تكون أساساً لما يطالب
 به من "علم دلالة الربط"^(١٣٠)

٢-١- البيان

والبيان هو أساس الروابط في كل ملفوظ، وله عدد من الوسائل
 منها التفصيل بعد الإبهام، وأن يتوسط حرف التفسير (أي) بين
 الجملتين، ويكون بالاستفهام من المتكلم، عندما لا يقصد إلى
 الاستخبار^(١٣١).

128- البرهان ٤٠/١-٤٧.

129- البيان في روائع القرآن ص ٤٠٧-٤١٨.

130- مدخل إلى علم اللغة النصي ص ٤٦.

131- نسيج النص ٤٠.



٢-١-١- التفصيل بعد الإجمال

أجملت القصة في الآيات الأربع الأول من نصها، من قوله تعالى: [أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)]

ففي هذه الآيات إجمال للقصة، في أحداثها الرئيسية، وهي أربعة أحداث هي: أنهم أواوا إلى الكهف، فدعوا الله، فضرب الله على آذانهم فأنامهم، ثم بعثهم. وجاء بعد ذلك قوله تعالى: "نحن نقص عليك نبأهم بالحق" الخ.. وهو شروع من الله تعالى "في تفصيل ما أجمل" (١٣٢) والتفصيل متعلق بالإجمال، والإجمال مرتبط بالتفصيل، ومفتقر إليه لتوضيحه، وقد ذكر سبحانه أحداث القصة في عشرات الأحداث ففصل ما أجمل في أولها.

قوله تعالى: [وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم] ٣٣ (١٩)، فإن ما تحته خط إجمال، جاء تفصيله في حوار دار بين الفتية - بعد ما بعثوا - عقب هذه الجملة في الآية نفسها، من قوله تعالى: "قال قائل منهم ٣٤، (١٩) وهو "استئناف لبيان تساؤلهم" (١٣٣) حتى قوله تعالى: [قالوا ربكم أعلم بما لَبِثْتُمْ] (١٩).

132- روح المعاني ٢١٦/١٥.

133- روح المعاني ٢٢٩/١٥.

٢-١-٢ - علاقة الإجابة بالسؤال

تمثلت هذه العلاقة بوضوح، في قوله تعالى: [ثم بعثناهم ٦ لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ٧] (١٢). وقد جاءت الإجابة عن السؤال في قوله تعالى: [ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً] ٦٠ (٢٥)، وقد عرفنا أن التساؤل ورد في مجمل القصة، وجاء الجواب في نهاية القصة فهذا يشبه ما أسماه علماء البلاغة العربية رد العجز على الصدر، وهو من طرق اتساق النص، وقد أشاروا إلى ذلك، يقول أبو هلال العسكري: "أول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظاً تقتضي جواباً، فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ في الجواب ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها... ولرد الأعجاز على الصدر موقع جليل في البلاغة، وله في المنظوم خاصة محل خطير" (١٣٤)، فقد ربط بين نصين متباعدين في فضاء النص، بينهما مسافة ٥٢ جملة.

وفي قوله تعالى: [إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ... الآية ١٣] "استئناف مبني على السؤال من قِبَل المخاطب" (١٣٥)، فكأن المخاطب سأل بعد قوله تعالى: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ] ٨ (١٣) فقال فما نبؤهم؟ فجاءت الإجابة بـ [إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ..... إلى آخر القصة].

٢-١-٣ - التعليل

في قوله تعالى: [إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ٤١ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ٤٢ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ٤٣] (٢٠). تعليل لما سبق في الآية

134 - الخطابي ص ١٣٣، عن العسكري ٤٢٩.

135 - روح المعاني ٢١٧/١٥.



السابقة من الأمر والنهي، في قوله تعالى: [فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ٣٧ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ٣٨ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ٣٩ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ٤٠ (١٩)]، فقام التعليل هنا بالربط بينه وبين جمل الأمر والنهي في الآية السابقة؛ قال الزركشي: "وغالب التعليل في القرآن فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وهو سؤال عن العلة" (١٣٦)، والتعليل هنا جواب سؤال عن علة الأمر والنهي الوارد في الآيات، خاصة الأمر بالتلطف؛ فكأن السامع سأل فقال لماذا التلطف؟

قوله تعالى: [إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ٩. (١٣)]، فيه التفات من التكلم (في أول الآية) إلى الغيبة، وأوثر للإشعار بعليّة وصف الربوبية لإيمانهم، ولما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكي عنهم" (١٣٧)، في قوله تعالى: [فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٣ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ١٤ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٥ (١٤)].

فهذه الناحية البلاغية، (الالتفات) أسهمت في التعليل للوصف بالربوبية، ولقول الفتية، ثم إنها أسهمت في اتساق النص، حيث ربطت بين الجملة ٩ والجمال ١٣، ١٤، ١٥، على ما بين الأولى وهذه الجملة من مسافة ٣ إلى ٥ جمل، فقامت مقام الإحالة بالعودة على السابق البعيد.

١٣٦- البرهان في علوم القرآن ٩٦/٣.

١٣٧- روح المعاني ٢١٧/١٥، ٢١٨.

قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ ٤٤ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ٤٥ (٢١)؛ فالعلم بحقيقة البعث بعد الموت، وأن الساعة لا ريب فيها، علة للإعتار على أصحاب الكهف، حيث تخبر معلومات سياق الحال (العالم الخارجي) بأن قوم الفتية كانوا أيامها مختلفين في "حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح" (١٣٨)

٢-١-٤- التدرج

قوله تعالى: [فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٣ لَن نَّدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا] ١٤ (١٤) فقد أشاروا بالجملة الأولى إلى توحيد الربوبية، وبالجملة الثانية إلى توحيد الألوهية، وهما أمران متغايران... وابتدأوا بما يشير إلى توحيد الربوبية؛ لأنه أول مراتب التوحيد، والتوحيد الذي أقرت به الأرواح في عالم الذر يوم قال لها سبحانه: [ألسنت بربكم] وفي ذكر ذلك أولاً، وذكر الآخر بعده تدرج في المخالفة؛ فإن توحيد الربوبية يشير إلى توحيد الألوهية، بناء على اختصاص الألوهية واستحقاق العبودية به سبحانه وتعالى (١٣٩). فالجملتان متماسكتان لما بينهما من صلة الصعود من مرتبة في التوحيد، إلى مرتبة أعلى منها.

٢-١-٥- التأكيد

الجملة التي تحتها خط في قوله تعالى: " وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فأووا " ١٦. جملة معترضة بين إذ وجوابه فأووا، وهو

١٣٨- الكشف ٢/ ٤٧٧. وينظر جامع البيان ١٤٩/٢.

١٣٩- روح المعاني ٢١٩/١٥.



اعتراض يدل على أن أصحاب الكهف "كانوا صادقين وأنهم قاموا بما وصى به بعضهم بعضاً، فهو يؤكد مضمون الجملة" (١٤٠).

وبين الجملتين (١٣، ١٤) السابقتين (في التدرج) علاقة منطقية؛ فـ "الجملة الأولى لكونها مشيرة إلى توحيد الربوبية، (هي أيضاً) مشيرة إلى توحيد الألوهية، قيل إن في الجملة الثانية تأكيداً لها" (١٤١)، لأنه توحيد ذكر بعد توحيد.

٢-١-٦- السببية

قوله تعالى: "فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۖ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ ٤ (١٠) فَضَرْبَنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ٥ (١١) فدعاء أصحاب الكهف في الجملتين ٣، ٤ (١٠)، سبب للضرب على آذانهم في الجملة ٥ (٩)، "بل إن الربط قد امتد أبعد من ذلك؛ فإن الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقلب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك من آثار استجابة دعائهم السابق" (١٤٢).

والبعث المذكور في الإجمال في قوله تعالى: [ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ] ٦ (١٢)، وفي التفصيل في قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ٣٣ (١٩)]، وذكر التقلب في قوله تعالى: [وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ٣٠ (١٨)]، وعليه فالربط قد امتد بين السبب (الدعاء في الجملتين ٣، ٤)، والجمل، ٦، ٣٠،

١٤٠- روح المعاني ٢٢٠.

١٤١- روح المعاني ٢١٩/١٥.

١٤٢- روح المعاني ٢١٢/١٥.

٣٣، بمسافة جملة واحدة للجملة ٦ و ٢٥ جملة للجملة ٣٠، و ٢٨ جملة للجملة ٣٣، وهذه الروابط جميعاً تقوم مقام الإحالة على السابق البعيد. قوله تعالى: "إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ٤١ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ٤٢ وَلَنْ تُفْلَحُوا إِذَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمُ الْآيَةُ مِنَ السَّمَاءِ ٤٣ (٢٠)، فَإِنْ إِعَادْتَهُمْ إِلَى مِلَّةِ قَوْمِهِمُ الْكَافِرِينَ سَبَبٌ لِعَدَمِ فَلَاحِهِمْ أَبَدًا، قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ هُنَا: وَلَنْ تُفْلَحُوا أَبَدًا إِذَا دَخَلْتُمْ فِي دِينِهِمْ^(١٤٣)، وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ: "أَيُّ إِنْ دَخَلْتُمْ فِيهَا"^(١٤٤) وَيَفْهَمُ مِنْ اسْتِخْدَامِ إِذْ فِي كَلَامِ الْأَوَّلِ، وَاسْتِخْدَامِ الشَّرْطِ فِي كَلَامِ الثَّانِي، أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تَعْلِيلٌ لِسَابِقَتِهَا، وَأَنَّ مَا قَبْلَهَا سَبَبٌ لِحَدُوثِ مَا فِيهَا.

٢-١-٧- المناسبة

قوله تعالى: [مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ٢٦ (١٧)]، "ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِمُنَاسِبَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى [وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٠ (١٣)]"^(١٤٥)

١٤٣- الكشاف ٤٧٧/٢.

١٤٤- روح المعاني ٢٣٢/١٥.

١٤٥- روح المعاني ٢٢٤/١٥.



٣- الاتساق المعجمي Lexical cohesion

وهذا النوع من الاتساق يعمل على شبكة العلاقات الدلالية التي يمكن أن تحدث بين كلمات اللغة في المعجم، ويجمع العلاقات الآتية: الترادف وشبهه والتكرير والمطابقة والعام والخاص والجزء والكل وغيرها، كما يهتم بإبراز المسافة الفاصلة بين اللفظين صاحبي العلاقة. وقد وجه لهذه الطريقة النقد، ذلك أن "الوسيلة المعتمدة في التصنيف هي المعنى المعجمي للكلمة، بعيداً عن السياق الذي وردت فيه الكلمات" (١٤٦).

ولكن هذه الطريقة لا تخلو من فائدة في ميدان الاتساق النصي، وإن اختلف معنى الكلمة الواحدة من جملة إلى أخرى داخل النص، لأن معنى الكلمة مهما تغير بتغير السياقات فهو يعود إلى أصل دلالتها، وهذا في حد ذاته نوع من الترابط يخدم اتساق النص.

وسوف أورد عدد الروابط الموجودة في كل جملة، ذكراً المسافة - إن وجدت - بين الكلمتين المتعلقتين بالجملة فيما يلي (١٤٧):

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الاتساق	نوع الرابط	المسافة	العنصر المفترض
١	٤	أصحاب الكهف	ترادف	0	الفتية ج ٢

¹⁴⁶ - لسانيات النص ٢٣٩ - ٢٤٩.

¹⁴⁷ - أفدت نظام هذا الجدول من كتاب لسانيات النص ينظر ص ٢٣٩ - ٢٤٨

الكهف ج ٢	0	تكرار	الكهف		
الكهف ج ٥	٣	تكرار	الكهف		
آيَاتِ اللَّهِ ج ٢٥	٢٣	ترادف	مِنْ آيَاتِنَا		
فأولوا ج ٢٠	١٧	اشتقائي	أوى	١	٢
فقالوا ج ١٣	٩	تكرار	فقالوا	٢٧	٣
قلنا ١٥	١١	تكرار			
قال ج ٣٤	٣٠	تكرار			
قائل ج ٣٤	٣٠	اشتقائي			
قالوا ج ٣٥	٣١	تكرار			
قالوا ج ٣٦	٣٢	تكرار			



٤٧	فقالوا	٤٣	تكرار		
٤٩	قال ج	٤٥	تكرار		
٥٠	سيقولون ج	٤٦	اشتقائي		
٥١	ويقولون	٤٧	اشتقائي		
٥٢	ويقولون	٤٨	اشتقائي		
٥٧	تقولن	٥٣	اشتقائي		
٦٢	قل	٥٨	اشتقائي		
٩	ربهم ج	٥	تكرار	ربّ	
١٣	ربّنا ج	٩	تكرار		
١٣	ربّ ج	٩	تكرار		
١٨	الله ج	١٤	شبه ترادف		

الله ج ١٩	١٥	شبه ترادف			
الله ٢٥	٢١	شبه ترادف			
الله ٢٦	٢٢	شبه ترادف			
الله ٤٥	٤١	شبه ترادف			
الله ٦٢	٥٨	شبه ترادف			
ربكم ٢٠	١٦	تكرار			
ربهم ج ٤٨	٤٤	تكرار			
ربي ج ٥٣	٤٩	تكرار			
الله ج ٥٧	٥٣	شبه ترادف			
ربك ٦٦	٤٢	تكرار			
يهيئ لكم ج ٢١	١٦	اشتقائي	هيئ لنا	٣	٤



		أمرنا	تكرار	١٦	أمركم ج ٢١
		رَشَدًا	تكرار	٥٤	رشدًا ج ٥٩
٥	١	سنين	تكرار	٥٤	سنين ج ٦٠
٦	١	بعثناهم	تكرار	٢٦	بعثناهم ج ٣٣
٧	٥	لبثوا	تكرار الفعل	٢٦	لبثتم ج ٣٤
			تكرار الفعل	٢٧	لبثنا ٣٥
			تكرار الفعل	٢٨	لبثتم ٣٦
			تكرار	٥٢	لبثوا ج ٦٠
			تكرار	٥٤	لبثوا ج ٦٢
١٠	١	وزدناهم	اشتقاقى	٥٠	وازدادوا ج ٦١
١٣	١	السموات والأرض	تكرار	٥٩	السموات والأرض

ج ٦٣					
تقرضهم ج ٢٣	٠	شبه ترادف	تزاور	١	٢٢
يضلل ج ٢٧	٠	تضاد	يهد	٣	٢٦
يهديني ج ٥٩	٣٢	تكرار	يهد		
المُهدي ج ٢٦	٠	اشتقائي	يهد		
رقود ج ٢٩	٠	تضاد	أيقاظاً	١	٢٨
ذات الشمال ج ٣٠	٠	تضاد	ذات اليمين	١	٣٠
كلبهم ج ٥٠	١٨	تكرار	كلبهم	٣	٣١
كلبهم ج ٥١	١٩	تكرار			
كلبهم ج ٥٢	٢٠	تكرار			
يوم ج ٣٥	٠	تكرار	يوماً	١	٣٥



الساعة ج ٤٥	٠	ترادف	وعد الله	١	٤٥
مسجدا ج ٤٩	١	بعض من كل	بنياناً	١	٤٧
الله أعلم ٦٢	٨	ترادف	ربي أعلم	١	٥٣

٤- الاتساق بين الفواصل

"الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني والفواصل بلاغة (لأنها) تتبّع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها"^(١٤٨) وتقسم الفواصل باعتبارين هما:

١- المتماثل والمتقارب في الحروف.

٢- المتوازي والمتوازن والمطرف.

والفواصل في القصة هي: عَجَبَا (٩) رَشَدَا (١٠) عَدَدَا (١١) أَمَدَا (١٢) هُدَى (١٣) شَطَطَا (١٤) كَذَبَا (١٥) مِرْقَقَا (١٦) مُرْشِدَا (١٧) رُعْبَا (١٨) أَحَدَا (١٩) أَبَدَا (٢٠) مَسْجِدَا (٢١) أَحَدَا (٢٢) غَدَا (٢٣) رَشَدَا (٢٤) تَسْعَا (٢٥) أَحَدَا (٢٦) مُلْتَحَدَا (٢٧).

٤-١- المتماثل في الحروف:

والمراد بالمتماثل "ما تماثلت حروفه في المقاطع"^(١٤٩)، وقد وردت جميع فواصل القصة (وهي تسع عشرة فاصلة) متماثلة جميعا في آخر حرف منها وهو الألف، وينطق ألفاً في الوقف، وينطق بتووين نصبٍ في الوصل فيها جميعاً، وهذه الفواصل متسقة مع فواصل السورة من حيث تماثلها.

ووردت ١٢ فاصلة منها مشتركة في نهايتها في حرفي الدال والألف، وهما يكونان المقطع المتوسط المفتوح (دا) = (ص ح ح)،

¹⁴⁸ - البرهان في علوم القرآن ١/٥٣، ٥٤.

¹⁴⁹ - البرهان في علوم القرآن ١/٧٢.



فهي على المستوى الصوتي متماثلة النهاية؛ وهذا يمثل لوناً من ألوان الترابط والاتساق الصوتي بين أجزاء النص.

ووردت الفواصل عجباً (٩)، كذباً (١٥)، رعباً (١٨) متماثلة في نهايتها في حرفين هما الباء والألف، وهما يكونان مقطعاً متوسطاً مفتوحاً، وهو (با).

وردت ٣ فواصل كل منها يكون مقطعاً طويلاً؛ هي طا، عا، قا، ومما سبق يتبين أن جميع الفواصل، متماثلة في نهايتها من جانبيين؛ أحدهما أنها تنتهي جميعاً بالألف، والثاني أنها جميعاً تنتهي بمقطع متوسط مفتوح في الوقف، وتنتهي بمقطع متوسط مغلق (ص ح ص) في الوصل، وهذا يشكل لوناً من التناسق الصوتي بين أجزاء نص القصة.

٤-٢- المتوازي:

والمراد بالمتوازي "أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع" (١٥٠)، وقد ورد من ذلك في نص القصة الفواصل: رَشْدَا (١٠) عَدَدَا (١١)، أَمَدَا (١٢) متواليّة، وكذا الفاصلتان أَحَدَا (١٩)، أَبَدَا (٢٠)، والفاصلتان أَحَدَا (٢٢)، رَشْدَا (٢٤)، وجميعها بوزن (فَعَلَا) في الوقف، وبوزن (فَعَلَن) في الوصل.

٤-٣- المتوازن من الحروف:

والمراد بالمتوازن "أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط" (١٥١) وقد ورد في نص القصة من ذلك الفواصل: عجباً (٩) رَشْدَا (١٠) عدداً

150- البرهان في علوم القرآن ٧٥/١.

151- البرهان في علوم القرآن ٧٦/١/١.

(١١) أمدأ (١٢). شططا (١٤) أحدا (١٩) أبدا (٢٠) أحدا (٢٢)، رشدا (٢٤) أحدا (٢٦)، وكلها بوزن (فَعَلًا) في الوقف، وبوزن (فَعَلَن) في الوصل، ويلاحظ أن المتوازن هنا اشتمل على المتوازي لتوفر شرط الاتفاق في الوزن.

٤ - ٤ - المطرّف:

والمراد بالمطرّف "أن تتفق الفاصلتان في حروف السجع لا في الوزن" (١٥٢)، ومن ذلك النوع في القصة الأزواج المتوالية: أمدأ (١٢)، هُدى (١٣). مسجداً (٢١)، أحداً (٢٢)، أحداً (٢٦)، ملتحداً (٢٧).

وهذا الاتساق الصوتي بين الفواصل، يعضد التناسق بالإحالة والتناسق المنطقي، والربط الخطي، والتناسق المعجمي، وغيرها مما مر بحثه في تحليل اتساق النص، فهذه كلها تتكامل في إيضاح أواصر الترابط بين أجزاء النص، وتقوي اتساقه.



٥ - اتساق موضوعات الخطاب

مفهوم الموضوع Topic كان قد استعمل في نحو الجملة، (مقصوداً به المسند إليه) ثم انتقل إلى نحو النص^(١٥٣) والمقصود بموضوعات الخطاب تلك التي "ترد المعلومات السيمانطيقية وتنظمها وترتيبها تراكيباً متوالية" في كل شامل^(١٥٤).

إن موضوع الخطاب بعبارة أخرى هو إجابة عن سؤال هو: عن أي شيء يدور هذا الخطاب؟ أو هذا المقطع من هذا الخطاب^(١٥٥)، وبمعنى آخر هو إجابة عن السؤال؛ ما الفكرة الرئيسية التي يتحدث عنها هذا الخطاب أو هذا المقطع منه؟.

وهذا يقتضي من محلل النص أن يقسمه إلى مقاطع، وكان فاينريش H.weinrich هو صاحب اتجاه تحليل النص عن طريق تجزئته، إلى أجزاء متماسكة، يحتوي كل جزء منها على عدد من الجمل المترابطة، التي ينتقل الترابط بينها من الترابط بين الجمل، إلى الترابط في مستوى النص.

تلك الأجزاء أو المقاطع النصية يتكون كل واحد منها بطبيعة الحال من عدد من الجمل المتسقة، (المترابطة) اتساقاً (ترابطاً) دلاليّاً، من حيث كونها تعبر عن جزء ضمن الدلالة الكلية للنص، فكل جملة من مقطع ما في النص " لا تقدم إلا معلومة محددة تسهم مع المعلومات

153 - لسانيات النص ص ٢٧٥ - ٢٧٦

154 - فاندريك النص والسياق ترجمة عبد القادر قنيني ص ١٨٥.

155 - النص والسياق ١٨٦.

الأخرى في تشكيل كم من المعلومات التي تتضمن بقوة في بنية واحدة.... قد تكون موضوع النص (أو الخطاب) أو المعنى الكلي أو المغزى^(١٥٦)، ومفهوم الاتساق بين الجمل في مقطع من النص، ظاهر في أن "كل جملة تسهم... في فهم ما تليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة، بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب، بل من خلال معاني الأجزاء وتأزرها في بنية كلية كبرى - فإن فاينريش قد اعتمد في تحديد وحدة النص على مجموعة من السياقات الدلالية التي تتضافر معاً لتكوين التماسك الكلي"^(١٥٧)

ويمكن تقسيم قصة أصحاب الكهف إلى ثلاثة سياقات دلالية تمثلها ثلاثة مقاطع:

٧-١- المقطع الأول: وفيه مجمل القصة

من قوله تعالى: [أَمْ حَسِبْتَ أَنْ].. الآية ٩ إلى قوله تعالى: [لَمَّا لَبِثُوا أَمْدًا] الآية ١٢ وفيه الموضوعات الآتية:

١- إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن أصحاب الكهف والرقيم آية من آيات قدرة الله عز وجل، لكن هناك من الآيات ما هو أعجب منها.

٢- هروب الفتية إلى الكهف، ولجوؤهم إلى الله بالدعاء.

١٥٦- الدكتور سعيد حسن بحيري علم النص المفاهيم والاتجاهات الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان القاهرة ١٩٧٧. ص ١٩١.

١٥٧- علم النص ١٩٢ وان ينظر النص والسياق ١٣٧.



٣- استجابة الله تعالى لهم، فأنامهم عددا من السنين في الكهف ثم بعثهم.

٤- من أغراض البعث اختبار المختلفين في قدرتهم على إحصاء مدة لبثهم.

٧-٢- المقطع الثاني: وفيه تفصيل القصة، وهو ينقسم إلى خمسة مقاطع:

٧-٢-١ قصة إيمان أصحاب الكهف

من قوله تعالى: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ.. الآية ١٣ إلى قوله تعالى: [مِنْ أَمْرِكُمْ مَرِيقًا الآية ١٦] وفيها الموضوعات الآتية:

١- أنه نبأ حق، وهم عدد من الفتية توصلوا إلى الإيمان بتوحيد الله تعالى، وأيدهم الله تعالى، وثبتهم عليه.

٢- أنهم عزموا على الاستمرار في طريق الإيمان، وأعلنوا ذلك أمام ملكهم الجبار، وكان أمهلهم للعودة إلى الشرك فرفضوا.

٣- أنهم اعتزلوا قومهم وأووا إلى الكهف، واثقين من أن الله تعالى سوف ييسر لهم التوجه إليه، ويهييء لهم الخير.

٧-٢-٢- وصف أحوالهم أثناء لبثهم فيه:

من قوله تعالى: [وَتَرَى الشَّمْسَ الْآيَةَ ١٧] حتى قوله تعالى: [وَلَمَلَأْنَتْ مِنْهُمْ رُعبًا الآية ١٨] وفيه الموضوعات الآتية:

١- أنهم أثناء نومهم في الكهف، تميل عنهم الشمس أثناء الشروق، وتعديل عنهم أثناء الغروب فلا تؤذيهم، وهذا من آيات قدرته تعالى.

٢- ثناء على الفتية لأنهم أصابوا المطلوب، وتحقق لهم ما أرادوا من نشر الرحمة.

٣- أن الذي يراهم في حالتهم هذه يحسبهم أيقاظاً، لكنهم رقود.

٤- أنهم كانوا يُقَلَّبُونَ أثناء رقودهم حتى لا تأكلهم الأرض.

٥- كان كلبهم باسط ذراعيه بالباب.

٦- أن المطلع عليهم لا يطيق أن يراهم، بل إنه يفر خائفاً مرعوباً.

٧-٢-٣- بعثهم وحوار يدور بينهم:

من قوله تعالى: [وكذلك بَعَثْنَاهُمُ الْآيَةَ ١٩ إِلَى قَوْلِهِ: أَبَدًا الْآيَةُ ٢٠]

وفيه الموضوعات الآتية:

١- تسألهم عن مدة لبثهم، واختلافهم في ذلك، بين اليوم وبعض

اليوم، ثم إسنادهم العلم بحقيقة المدة إلى الله تعالى.

٢- بعث أحدهم إلى المدينة التي هربوا من أهلها من قبل بدينهم؛ كي

يأتيهم بطعام، وتحذيرهم إياه من أن يُكشَفَ أمرهم، فيكون ذلك سبباً في

قتلهم رجماً بالحجارة، أو إكراههم على العودة إلى الكفر.

٧-٢-٤- الإعتار عليهم:

قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا الْآيَةَ ٢١] وفيه الموضوعات الآتية:

١- أراد الله تعالى أن ينكشف أمر الفتية لأهل مدينتهم، وكان أهلها

حينئذ يتنازعون في أمر البعث بين مقر به ومنكر له، فتحقق لديهم

أمره^(١٥٨)

¹⁵⁸- روح المعاني ٢٣٤-٢٣٥.



٢- إن من أغراض بعث أصحاب الكهف، علم المتنازعين بأن وعد الله تعالى حق، والساعة حق.

٣- تنازع فريقين من قوم أصحاب الكهف فريق المؤمنين، وفريق آخر وكان فريق المؤمنين هو الذي نفذ أمره ببناء المسجد.

٧-٢-٥- اختلاف المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم، في عددهم:

من قوله تعالى: [سيقولون ثلاثة إلى قوله: وثامنهم كلبهم الآية ٢٢] وفيه ما يلي من الموضوعات:

١- فمنهم من قال بأنهم ثلاثة ورابعهم كلبهم، ومنهم من قال هم خمسة وسادسهم كلبهم، وهذا رجم بالغيب من دون علم، ومنهم من قال سبعة وثامنهم كلبهم والفريق الثالث على صواب.

٢- العلم بعددهم عند الله وحده، وقليل من الناس أوتي هذا العلم ومنهم ابن عباس (رضي الله عنه).

٧-٣- المقطع الثالث: توجيه من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم،

من قوله تعالى: [فلا تمار فيهم الآية ٢٢ إلى قوله: [ملتحدًا الآية ٢٧] وفيه الموضوعات الآتية:

١- نهى الله تعالى نبيه عن المراء في أمر أصحاب الكهف إلا بقدر ما أعلمه الله تعالى من أمرهم.

٢- نهيه عن أن يطلب الفتوى في أصحاب الكهف من الخائضين في أمرهم؛ لأن فيما أنزل الله تعالى فيهم على نبيه كفاية.

٣- نهيه عن أن يقول إني سأفعل شيئاً في مقبل الأيام إلا أن يذكر معه مشيئة الله تعالى، ذلك لأن سبب النزول يدل على ذلك، وإذا نسي في حال القول، فليستدرك ذكرها عندما يذكر.

٤- أمره بالدعاء بالتوفيق والرشاد.

٥- إعلامه تعالى نبيه بأن مدة لبثهم ٣٠٩ من السنين.

٦- التأكيد على أن الغيب لله وحده لا شريك له.

٧- أمره بلزوم قراءة آيات القرآن على أصحابه، وأن يستغني به عما عداه.

٨- لا يقدر على تبديل كلمات الله إلا هو، وليس له صلى الله عليه وسلم ملجأ غيره سبحانه عند إمام الملمات^(١٥٩).

الاتساق بين الموضوعات هنا، يتمثل في تمهيد المتكلم سبحانه بإجمال القصة، ثم تفصيلها؛ فنذكر من نبأ أصحاب الكهف ما يكفي للإجابة على سؤال السائلين، ثم أرشد الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، واتساق هذه المقاطع النصية، بما تشتمل عليه من الموضوعات، جانب من جوانب اتساق النص، يضم إلى جوانب الاتساق السابقة.

¹⁵⁹ - ينظر روح المعاني ١٥ / ٢٤٧-٢٥٧.



٦- الانساق بين النص والعالم الخارجي في المجتمع

إن التحليل السليم لأفعال الكلام يعد الهدف الرئيسي للتداولية^(١٦٠) التي "مهمتها دراسة الرموز والعلامات والمستعملين لها"^(١٦١) وهذا يؤكد الدور الاجتماعي للغة، وقد ربط علماء أصول الفقه الإسلامي بين النص والمجتمع ربطاً وثيقاً، عندما قسّموا أفعال الكلام الإنشائية إلى خمسة أقسام: الواجب والمحظور والمندوب والمكروه والمباح.

وتتضح قيمة هذا التقسيم في ضوء نظرية أفعال الكلام التي يقترح صاحبها (أوستين) "أن ينظر في الفعل اللغوي... من ثلاث جهات: التلفظ والنطق والخطاب. ويختص فعل التلفظ بمخارج الحروف المادية، ويتعلق فعل النطق بمقاصد العبارة، أما فعل الخطاب فيهتم بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة والمفهومة من السياق.

وقد أرجع أوستين "أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع: فعل الكلام، وقوة فعل الكلام ولازم فعل الكلام"^(١٦٢)، وهذا التقسيم جعل أوستين يوضح العلاقة بين قول كلام بشأن شيء معين، وبين حركتنا وفعلنا تجاهه، ويمكن "إعادة العلاقة بينهما عن طريق قوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام، أي نخرج من التلفظ والنطق إلى الفعل الخطابي، وما يحتف بالسياق من دلالات ومعان؛ على معنى أن هناك محيطاً إنسانياً هو نسيج متصل من العلاقات تتحدد داخل مواقف كلية، تصبح اللغة فيها أفعال

160- النص والسياق ٢٢٧. وتعد نظرية أفعال الكلام مندرجة تحت التداولية.

161- النص والسياق ٢٥٥.

162- نظرية أفعال الكلام ص٧.

التواصل، لا أقوال خالية من الدلالات والإحالات المرجعية، وإذا رجعت إلى اللغة هذه الحياة الجديدة... أمكن حينئذ إدراك علاقات جديدة في الأشياء، وتطورات عملية التواصل التي ينتج عنها بالضرورة عادات وأعراف وعوائد.^(١٦٣)، وهذه لا تكون إلا في مجتمع، وهذه النظرية (أعني نظرية أفعال الكلام) تهتم بإنجاز الأفعال المجتمعية^(١٦٤).

وكان موريس (١٩٣٨) قد عرف علم التخاطب بأنه "دراسة علاقة العلامات بمفسريها، ثم عمم هذا التعريف ليصبح علاقة العلامات بمستخدميها".

وكان أ. ج. سميث A.G.Smith قسم علم العلامات إلى ثلاثة مجالات؛ الدلالة والتركيب والتخاطبية، وعرف الأخيرة بأنها "دراسة كيف تتعلق العلامات بالناس"^(١٦٥)؛ إذن فمهمة علم الخطاب مهمة اجتماعية بالدرجة الأولى.

والقرآن الكريم هو النص الذي يوجه حياة خير أمة أخرجت للناس إلى يوم القيامة، في كل مناحي الحياة، وهو أعظم النصوص تأثيراً في المؤمنين به، وأكثرها تفاعلاً واتساقاً مع مصلحة الخلق في المجتمع؛ ولذا فكل ما جاء فيه يصب في اتجاه الخير والنفع للبشرية جمعاء.

١٦٣- نظرية أفعال الكلام ص ٨.

١٦٤- النص والسياق ٢٧٥.

١٦٥- محمد محمد يونس وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى. منشورات جامعة الفاتح ١٩٩٣. ص ١١٧.



فمن الناحية التداولية هو أنفع النصوص، بل أخلدها نفعاً للعالمين إلى يوم الدين، وما جاء فيه من خطاب لسيد المرسلين؛ محمد صلى الله عليه وسلم، مراد به أتباعه في كل زمان ومكان، وهو الذي كان ينفذ (ينجز) كل ما يؤمر به، وينتهي عما نهى عنه حتى إنه يمثل النموذج الأسمى في الامتثال لتوجيهات هذا الخطاب العظيم، حتى وصف بأنه صلى الله عليه وسلم "كان قرآناً يمشي على الأرض" وهذه العبارة التي تمثل واقع حياته صلى الله عليه وسلم مع أفعال الكلام الموحى إليه، إنما تمثل قمة ما يراد من نظرية أفعال الكلام التي تهتم بالفائدة العملية للقول في الواقع، ومدى اتساق القول مع الفعل، ولم يثبت في التاريخ وجود نص اتسقت العلاقة بين كلامه والمراد منه في الواقع العملي مثل كلام هذا النص العظيم.

وإذا كان تعريف الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام "هو كل حدث حاصل بواسطة الكائن الحي"^(١٦٦)، فإن كل فعل في القرآن الكريم، كان القصد منه التوجيه والإرشاد أو الأمر والنهي، هو فعل إنجازي بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم.

و كان صاحب هذه النظرية قد تساءل عما إذا كان قول شيء ما هو إنجازاً^(١٦٧)، وفرق بين مصطلحين بشأن فعل الكلام الأول: قوة فعل الكلام، والثاني: لازم فعل الكلام، ويفهم المصطلح الأخير من خارج

١٦٦- النص والسبيل ٢٢٨.

١٦٧- نظرية أفعال الكلام ص ١٨.

النص ومن سياق الحال^(١٦٨)، بمعنى أن سياق الحال هو الذي ينبئ عن تحقق الفعل في الواقع أو عدم تحققه.

إن كل ما جاء في القرآن الكريم من توجيه بأمر أو نهى، سواء أخذ صورة الأمر أو النهي الصريحين أم جاء في صيغة الإخبار، فإنه يدخل في حيز لازم فعل الكلام؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بإنجازه، وتبعه في ذلك صحابته، وما زال ينجزه المتبعون لسنته، ذلك أن المتكلم أصدق القائلين، وأن المتلقي الأول (الموحى إليه) أصدق المتلقين وسيد الطائعين.

وقصة أصحاب الكهف جزء من هذا النص الكريم، وفيها عدد من الآيات تحمل خبر أصحاب الكهف في أفعال أنجزوها كإيمانهم، وإيوائهم إلى الكهف، وأفعال أنجزت في حقهم كالضرب على آذانهم، وتقليبهم أثناء لبثهم، ثم بعثهم، كما تحمل خبر عبادة قومهم آلهة من دون الله، واختلاف قومهم في البعث، واختلاف معاصري النبي صلى الله عليه وسلم في عددهم.

وتعد التوجيهات الموجهة للنبي صلى الله عليه وسلم - ومنها نهيه عن أن يستفتي في أصحاب الكهف أحداً - وهو القدوة الحسنة لأتباعه في عهده ومن بعده وكل هذا قد أنجز، عُلِمَ هذا من سياق الحال من أن المتكلم هو أصدق القائلين، وأن المتلقي كان قرآناً يمشي على الأرض، تعد هذه التوجيهات داخلة في "إنجاز لازم فعل الكلام perlocutionary act"؛ لأن إنجاز لازم فعل الكلام هو فعل تعطى فيه شروط نجاحه

168 - نظرية أفعال الكلام ص ١٣٥.



بتغيير أغراض المتكلم باعتبار ما يقع من تغيير عند المخاطب نتيجة لإنجاز قوة فعل الكلام، ويكون النصح في حال حصول لازم فعل الكلام ناجحاً مثمراً أثره.. إذا اتبع المخاطب ذلك النصح وعمل بموجبه كما قصد إليه المتكلم، وكنتيجة لمعرفة إنجاز فعل الكلام" (١٦٩)

فوق ذلك استنبط علماء الفقه دلالات من بعض الآيات، هذه الدلالات المستنبطة تعود بالنفع على المجتمع إلى يوم القيامة. تلك الآيات هي:

قوله تعالى: [إِن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْنًا شَطَطًا (١٤)] "في هذا القول دلالة على أن الفتية دُعُوا لعبادة الأصنام، وليموا على تركها" (١٧٠)، وقد سلبوا فحوى الدعوة الموجهة إليهم في هذا اللوم، وهم قوة لكل من هداه الله تعالى إليه، فلا يعود إلى الظلام بعدما رأى نور الحق، فحكاية النص موقفهم هذا يحقق هدفاً من أهدافه، وهو وجوب الاقتداء بهم في ذلك.

قوله تعالى: [وَإِذْ نَسِيتَ ٥٨ إِذَا نَسِيتَ (٢٤)] الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أمر أن يقول "إن شاء الله تعالى، وقد قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت. [إذا نسيت] أي إذا فرط منك نسيان ثم تذكرته، فإنه ما دام ناسياً لا يؤمر بالذكر، وهو أمر بالتدارك عند التذكر؛ سواء قصر الفصل أم طال" وقد أفاد فقهاء المسلمين من هذه الآية عملياً، (أي على المستوى البراجماتي أو

169- النص والسياق ٢٦٧.

170- روح المعاني ٢١٩/١٥.

التداولي) فعن عطاء قال: "من حلف على يمين فله الثُّنيا حلبَ ناقة". وقد أُسند لابن عباس أنه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة، ما لم يحدث الحنث، وعن غيره مادام في المجلس، ونُكر اليوم والأسبوع والشهر. (١٧١) والأمر عند عامة الفقهاء أنه لا أثر للاستثناء في الأحكام ما لم يكن موصولاً (١٧٢)، وليس الخطاب محصوراً في شخص النبي صلى الله عليه وسلم وحده، بل إن المراد سائر من يتبعونه، ويهدف الخطاب هنا إلى تقوية العقيدة بقوة الاتصال بالمدير الذي بيده مفاتيح الغيب سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: [قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ٤٩ (٢١) الآية.. ليس فيها مدح لمن بنى المسجد، وليس فيها دلالة على الحض على الاقتداء بهم، ولا يدل فعلهم على مشروعية ما فعلوا إن كان المسجد بني على قبورهم، وفي الخبر "أن الملك تركهم في كهفهم وبنى على كهفهم مسجداً، وهذا أقرب لظاهر اللفظ" (١٧٣)، وعليه فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على بناء المساجد على القبور، أو بناء قبور الصالحين بالآجر وغيره، والصلاة إليها وتعليق القناديل عليها والطواف بها وغير ذلك (١٧٤).

171- روح المعاني ٢٤٩/١٥ والكشاف ٤٨٠/٢.

172- الكشاف ٤٨٠/٢.

173- روح المعاني ٢٣٩ / ١٥.

174- روح المعاني ٢٣٩/١٥.



كل ما سبق يجسد اتساق النص مع المجتمع، ووثاقة الصلة بينه بين
الموحى إليه صلى الله عليه وسلم، ومتبعيه إلى يوم القيامة.

٢٢ - ...
٢٣ - ...
٢٤ - ...
٢٥ - ...
٢٦ - ...
٢٧ - ...
٢٨ - ...
٢٩ - ...
٣٠ - ...
٣١ - ...
٣٢ - ...
٣٣ - ...
٣٤ - ...
٣٥ - ...
٣٦ - ...
٣٧ - ...
٣٨ - ...
٣٩ - ...
٤٠ - ...
٤١ - ...
٤٢ - ...
٤٣ - ...
٤٤ - ...
٤٥ - ...
٤٦ - ...
٤٧ - ...
٤٨ - ...
٤٩ - ...
٥٠ - ...
٥١ - ...
٥٢ - ...
٥٣ - ...
٥٤ - ...
٥٥ - ...
٥٦ - ...
٥٧ - ...
٥٨ - ...
٥٩ - ...
٦٠ - ...
٦١ - ...
٦٢ - ...
٦٣ - ...
٦٤ - ...
٦٥ - ...
٦٦ - ...
٦٧ - ...
٦٨ - ...
٦٩ - ...
٧٠ - ...
٧١ - ...
٧٢ - ...
٧٣ - ...
٧٤ - ...
٧٥ - ...
٧٦ - ...
٧٧ - ...
٧٨ - ...
٧٩ - ...
٨٠ - ...
٨١ - ...
٨٢ - ...
٨٣ - ...
٨٤ - ...
٨٥ - ...
٨٦ - ...
٨٧ - ...
٨٨ - ...
٨٩ - ...
٩٠ - ...
٩١ - ...
٩٢ - ...
٩٣ - ...
٩٤ - ...
٩٥ - ...
٩٦ - ...
٩٧ - ...
٩٨ - ...
٩٩ - ...
١٠٠ - ...

القصة الثانية

نص القصة

[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ ١ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ٢ (٨٣) إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ ٣ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ٤ (٨٤) فَاتَّبَعَ سَبَبًا ٥ (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ٦ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ٧ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ ٨ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٩ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ١٠ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ١١ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ١٢ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ١٣ وَنَسْقُولُهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ١٤ (٨٨) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ١٥ (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ١٦ (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ١٧ (٩١) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ١٨ (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّتَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ١٩ (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ٢٠ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٢١ (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ٢٢ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمْمًا ٢٣ (٩٥) أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ٢٤ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ٢٥ (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ٢٦ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ٢٧ (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ٢٨ فَإِذَا جَاءَ وَعَذُ رَبِّي جَعَلَهُ نَكَاءً ٢٩ وَكَانَ وَعَذُ رَبِّي حَقًّا ٣٠ (٩٨)]



مظاهر الاتساق في نص القصة

١- الاتساق النحوي

١-١- الإحالة

ويقتضي بحث الإحالة الحديث عن العناصر الإشارية، وما يتبعها من العناصر الإحالية في فضاء النص، وقد سبق أن عرفنا أن الإحالة على قسمين: إحالة داخلية، وإحالة خارجية، وأن الأولى على نوعين: إحالة معجمية، وإحالة نصية، وسوف أبدأ بالإحالة الداخلية، وسوف أذكر هذه العناصر مرتبة حسب ترتيب ورودها في القصة.

١-١-١- الإحالة الداخلية

١-١-١-١- الإحالة الداخلية المعجمية:

١-١-١-١-١- العناصر الإشارية العاملة

- ذو القرنين ١ (٨٣)

منه ٢- (٨٣) له ٣ وآتيناه ٤ (٨٤) فأتبع (هو) ٥ (٨٥) بلغ (هو) ٦، وجدها (هو) ٦، ووجد (هو) ٧، ذا القرنين ٨، تعذب (أنت) ٨، تتخذ (أنت) ٩ (٨٦)، قال (هو) ١٠، نعذبه (نحن) ١٠، (٨٧) وسنقول (نحن) ١٤، (٨٨) أتبع (هو) ١٥، (٨٩) بلغ (هو) ١٦، وجدها (هو) ١٦، (٩٠) لديه ١٧- (٩١) أتبع (هو) ١٨ (٩٢) بلغ (هو) ١٩، وجد (هو) ١٩ (٩٣) ذا القرنين ٢٠، لك ٢١ تجعل (أنت) ٢١ (٩٤) قال (هو) ٢٢ مكنتي ٢٢، ربي ٢٢، فأعينوني ٢٣، أجعل (أنا)

٢٣ (٩٥) آتوني ٢٤، آتوني ٢٥، أفرغ (أنا) ٢٥ (٩٦) قال (هو) ٢٨،
ربي ٢٨، ربي ٢٩، ربي ٣٠ (٩٨).

وهذا العنصر الإشاري، هو الذي يحظى بأكبر عدد من العناصر
الإحالية، ذلك أن القصة سبقت خبراً عنه، إذ يحكم (يراقب) ٣٥
عنصراً إحالياً، موزعة على ٢٤ جملة في النص؛ الذي يحتوي ٣٠
جملة، ومن الجمل ما ناله أكثر من عنصر إحالي واحد، والعناصر
الإحالية موزعة كما يلي: الهاء = ٤، الضمير (هو) مستتراً = ١٣، ذو
القرنين (تكرار) = ٢، الضمير (أنت) مستتراً = ٣، الضمير (نحن) = ٢،
كاف الخطاب = ١، ياء المتكلم = ٨، الضمير (أنا) مستتراً = ٢.

وهذه العناصر الإحالية كلها من نمط الإحالة بالعودة على السابق،
فقد ذكر (العنصر الإشاري) في أول جملة في النص، ومنها إحالة واحدة
فقط من نمط الإحالة على القريب، ذلك العنصر (ضمير الهاء) في لفظ
(منه) في الجملة (٢)، وتتدرج العناصر الإحالية الأربعة والثلاثون
الباقية في البعد من مسافة جملة واحدة للعنصر (ضمير الهاء في لفظ
له) في الجملة ٣، إلى مسافة ٢٨ جملة، للعنصر الإحالي (ياء المتكلم)
في لفظ (ربي) في الجملة ٣٠.

- الشمس ٦ (٨٦)

وهو عنصر إشاري يحكم (يراقب) ٦ عناصر إحالية، ورد أحدها
بالتكرار، والباقي جاء في صورة ضمير الغائب المؤنث كما يلي:
وجدها ٦ تغرب (هي) ٦ (٨٦) الشمس ١٦ (٩٠) وجدها ١٦ تطلع
(هي) ١٦، دونها ١٦ (٩٠)، وكلها من نوع الإحالة بالعودة على



السابق، ويعد العنصران الإحاليان (ها) في وجدها، والمستتر (هي) في الجملة ٦ من الإحالة على القريب، والعناصر الإحالية الأربعة الباقية من نمط الإحالة على البعيد، بمسافة ٨ جمل، وهي تتدرج في البعد داخل الجملة ١٦.

- عين حمئة ٦ (٨٦)

وهو يحكم عنصراً إحالياً واحداً، ورد في لفظ (عندها) ٧ (٨٦)، في قوله تعالى: [وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً] ٧ (٨٦) وهي إحالة على السابق القريب.

- قوماً ٧ (٨٦)

وهو يحكم عنصراً إحالياً واحداً هو الضمير الوارد في لفظ (فيهم) ٩ (٨٦)، في قوله تعالى: [٦ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً ٧ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ٨ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٩ (٨٦)]، وهي إحالة على السابق البعيد بمسافة جملة واحدة.

- ربّ ١١ (٨٧)

وهو يحكم أربعة عناصر إحالية، وردت بطريق تكرار اللفظ الجليل، في المواضع الآتية: ربي ٢٢ (٩٥) من ربي ٢٨ وعد ربي ٢٩، وعد ربي ٣٠ (٩٨)، وكلها من نمط الإحالة بالعودة على السابق البعيد، بمسافة ١٠ جمل للعنصر الإحالي الأول، و ١٦ جملة للثاني، و ١٧ جملة للثالث، و ١٨ جملة للرابع.

- قوم ١٦ (٩٠)

وهؤلاء غير القوم الذين ذُكروا من قبل، ومن ثم فاللفظ يمثل عنصراً إشارياً مستقلاً، وهو يحكم عنصراً إحالياً واحداً، ورد في كلمة لهم في قوله تعالى: [لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً] ١٦ (٩٠)، وهو من نمط الإحالة على السابق القريب.

- بين السدين ١٩ (٩٣)

وهو يحكم عنصراً إحالياً واحداً، ورد في لفظ (دونهما) في قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا] ١٩ (٩٣)، وهو من نمط الإحالة على السابق القريب.

- قوماً ١٩ (٩٣)

وهؤلاء القوم غير القومين، اللذين ذكرا في موضعين من قبل، ولذا فاللفظ هنا يمثل عنصراً إشارياً جديداً، يفسر عناصر إحالية أخرى، وقد عمل في ١٠ عناصر إحالية، وردت مع الألفاظ الآتية: لا يكادون ١٩ يفقهون ١٩ (٩٣)، قالوا ٢٠ (٩٤)، نجعل (نحن) ٢١، بيننا ٢١ (٩٤)، فأعينوني ٢٣، بينكم ٢٣ (٩٥)، آتوني ٢٤ (٩٦)، انفخوا ٢٥ آتوني ٢٥ (٩٦)، وكلها إحالة بالعودة على السابق، ومنها ثلاثة عناصر تحيل على المدى القريب، وتمثلها واو الجماعة في الجملتين ١٩، ٢٠، والعناصر الإحالية الثمانية الباقية، من نمط الإحالة على البعيد مع تدرج في البعد، بين مسافة جملة واحدة، للعنصرين الموجودين في الجملة ٢١، ومسافة ٥ جمل للعنصرين الإحاليين الموجودين في الجملة ٢٥.

- يأجوج ومأجوج ٢٠ (٩٤)



وهو عنصر إشاري يحكم ٦ عناصر إحالية، وردت في الألفاظ الآتية: مفسدون ٢٠، بينهم ٢١ (٩٤)، بينهم ٢٣ (٩٥)، اسطاعوا ٢٦، أن يظهره ٢٦، وما استطاعوا ٢٧ (٩٧)، والإحالة الأولى (واو الجماعة) في الجملة ٢٠، والثانية (الضمير هم) في الجملة ٢١، من نمط الإحالة على القريب، والعناصر الإحالية الباقية من نمط الإحالة على البعيد، بمسافة جملة للعنصر الإحالي (هم) في الجملة ٢٣، و ٥ جمل لـ (واو الجماعة) في الجملة ٢٦، و ٦ جمل في الجملة ٢٧.

- سداً ٢١ (٩٤)

وهو يحكم ٧ عناصر إحالية تعود عليه، وهي في الألفاظ الآتية:

- ردماً ٢٣ (٩٥): جعله، عليه ٢٥ (٩٦) يظهره ٢٦، له ٢٧ (٩٧). هذا ٢٨ (٩٨)، جعله ٢٩ (٩٨)، عنصر منها مرادف، للعنصر الإشاري، وبقيتها تتمثل في ضمير الغائب المفرد، وكلها من الإحالة على السابق البعيد، بمسافة تتدرج من جملة واحدة، للعنصر الإحالي الأول، ثم مسافة ٣ جمل للعنصرين الثاني والثالث، و ٤ جمل للرابع، و ٥ جمل للخامس، و ٦ جمل للسابع، و ٧ جمل للسابع.

- وعد ربي ٢٩ (٩٨)

وهو يحكم عنصراً إحالياً واحداً، ورد بطريق التكرار، وهو قوله وعد ربي ٣٠ (٩٨)، وهي إحالة بالعودة على السابق القريب.

١ - ١ - ٢ - الإحالة الداخلية النصية

- كلمة (ذكر) ٢ (٨٣)

هي إحالة على النص كله، ف قوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)] هذه الآية إجمال للقصة كلها، ثم جاء ما بعدها، مفصلاً لها، وذلك من أول قوله تعالى: [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ] (٨٤)، "فهذا شروع في تلاوة الذكر المعهود" (١٧٥)، وهو إلى آخر القصة، وهي من نوع الإحالة على اللاحق، ولا يخفى أن هذه الإحالة تربط القصة كلها بأولها.

- قوة ٢٣ (٩٥)

والمراد بـ (قوة) "ما يتقوى به على المقصود من الآلات كزبر الحديد أو من الناس" (١٧٦) ومنه "الفعلة والصناع" (١٧٧)، وهي إحالة على ما بعدها من نص قوله تعالى على لسان ذي القرنين: [فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمْمًا ٢٣ (٩٥) أَتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ ٢٤ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا] (٩٦)، فالنص مفسر لكلمة القوة وبيان لها؛ ومن هنا جاء الترابط بين المفسر والمفسر.

175- روح المعاني ١٦/٣٠.

176- روح المعاني ١٦/٤٠.

177- جامع البيان ١٦ ١٩.



١-١-١-٢- العناصر الإشارية غير العاملة

يوجد في نص القصة عدد من العناصر الإشارية التي لا تعمل (لا تراقب) عناصر إحالية، هذه العناصر هي: كل شيء ٤ (٨٤)، حُسناً ٩ (٨٦)، صالحاً ١٣ (٨٨)، يُسراً ١٤ (٨٨) سترأ ١٦ (٩٠)، بما لديه ١٧، خبراً ١٧ (٩١)، خرجاً ٢١ (٩٤)، بين الصدفين ٩٦، قطراً ٩٦. وكما سبق ليس معنى عدم عملها، أنها منقطعة عن النص، فهي لا تخلو من تناسق ما، كأن تحتوي عنصراً إحالياً، أو تتسق معجماً مع غيرها.

١-١-٢- الإحالة الخارجية

- الإحالة على المتكلم سبحانه وتعالى:

وذلك في خمسة مواضع بضمير العظمة (نا)، وفي موضع بضمير العظمة (نحن) في قوله تعالى: [إنا ٣ مكننا ٣ وآتيناه ٤] (٨٤)، وقوله: [قلنا ٨] (٨٦) [لم نجعل (نحن) ١٦ (٩٠)] [أحطنا ١٧ بما لديه خبراً] (٩١)

- الإحالة على الرسول صلى الله عليه وسلم

وذلك في ثلاثة مواطن من القصة؛ في قوله تعالى: [ويسألونك ١ قل (أنت) ٢ سأتلوا (أنا) ٢] (٨٣)، وكلها في الآية الأولى من القصة. - اسم الموصول من ١٠ (٨٧)، ١٣ (٨٨)

وقد ورد في نص القصة مرتين، مكوناً عنصراً إشارياً مستقلاً، وكل منهما في موضعه يشير إلى ذات غير الذات التي يدل عليها الآخر؛ فالأولى تدل على ذات ظالمة، والثانية تدل على ذات مؤمنة.

كلتا الذاتين لم تذكر من قبل في النص، وقد جرت الإحالة علي كل
 منهما بعد ذكره، وذلك في قوله تعالى: [قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ
 ١٠ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى ١٣] (٨٨)
 وقد عاد ضمير الهاء في كلمة نعذبه في الآية (٨٧) - علي (مَنْ) الأولى
 بالإحالة، وعاد ضمير الهاء في لفظ (فله) في الآية (٨٨) - علي (مَنْ)
 الثانية، وكلتاها من نوع الإحالة بالعودة على السابق القريب.



٢ - الحذف

سبقَت الإشارة إلى أن الحذف هو من بنية النص، وأن إعادة هذه البنية بالتقدير المفهوم من السياق، من الأمور المهمة في فهم النص، لأنها بمثابة إعادة بناء النص، ولا يتسنى هذا إلا بالقراءة الواعية للنص، والعودة إلى سياقه اللغوي والحالي، فإنه بهذين السياقين يمكن تقدير المحذوف، وإعادة بناء البنية العميقة التي شكلت البنية السطحية، وبهما (السياقين) أيضاً يمكن فهم المحذوف في الوقت نفسه. وقد تتوع الحذف في قصة ذي القرنين، كما تتوع في قصة أصحاب الكهف على النحو التالي:

٢-١ - الحذف الاسمي

في قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ٢(٨٣)، لما كان السؤال عن شأن ذي القرنين، ولم يكن عن ذاته، "فكأنه قيل ويسألونك عن شأن ذي القرنين" (١٧٨)، فدل سياق الحال (وهو كون السؤال عن شأنه) على المحذوف، ومن هنا للتبعيض، "والمراد من أنبائه وقصصه" (١٧٩)، فدل السياق اللغوي (وهو دلالة من على التبعيض) على المحذوف.

178- روح المعاني ١٦ / ٣٠.

179- روح المعاني، وفي حالة عود الضمير على الله سبحانه، فلا حذف. والمعنى "سأتلوا عليكم من جهته سبحانه" ١٦ / ٣٠.

- قوله تعالى: [فَاتَّبَعَ سَبَبًا] (٨٥) الفعل أتبع يتعدى لاثنتين إذن فهنا مفعول محذوف، "والتقدير فأتبع سبباً سبباً" (١٨٠)، فدل السياق اللغوي (وهو الدلالة الصرفية للفعل هنا على التعدية) على أن المفعول المحذوف.

وهكذا نجد كل محذوف في الكلام، يدل عليه دليل من أحد السياقين؛ اللغوي أو الحالي، وبذا يحدث الاتساق بين البنية السطحية والعالم التقديري للنص.

قوله تعالى: [وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا] (٨٤)، "في الكلام مضاف مقدر أي من أسباب كل شيء" (١٨١)

قوله تعالى: [وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ] (٨٦)؛ حذف المضاف والتقدير "ذات حمأة وهي الطين الأسود" (١٨٢)

قوله تعالى: [إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا] (٨٦)، في الآية عدد من المحذوفات، بناءً على عدد من التوجيهات النحوية، فمحل (أن تعذب، وأن تتخذ) إما الرفع على الابتداء، أو على الخبر، وإما النصب على المفعولية، وعلى الأول يكون الخبر هو المحذوف والتقدير "إما تعذيبك واقع"، وعلى الثاني يكون المبتدأ هو المحذوف والتقدير "إما أمرُك تعذيبُك"، وعلى الثالث يكون المحذوف فعلاً، والاتخاذ مثله (١٨٣)

180- روح المعاني ٣١/١٦.

181- روح المعاني ٣١/١٦.

182- روح المعاني ٣١/١٦.

183- وتقدير الفعل وإما أن توقع تعذيبك. روح المعاني ٣٤/١٦.



فيكون التقدير على الأول وإما اتخاذك الحسنى واقع، وعلى الثاني يكون التقدير وإما أمرك اتخاذك الحسنى، وحذف المضاف أيضاً والتقدير "أمرأ ذا حُسْن" (١٨٤) وكذا في قوله تعالى: [وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا] (٨٨) أي ذا يسر (١٨٥)

قوله تعالى: [وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى] (٨٨) حذف الموصوف في موضعين وتقدير الأول "وعمل عملاً صالحاً"، وتقدير الثاني "فله المثوبة الحسنى" (١٨٦)، حيث دلت الصفة على الموصوف فحذف.

قوله تعالى: [كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا] (٩١) المبتدأ محذوف و(كذلك) هو الخبر، والتقدير "أمر ذي القرنين كذلك" (١٨٧) كما يجوز أن يكون "كذلك" صفة والموصوف محذوف والتقدير "وجدها تطلع وجداناً كوجدانها تغرب في عين حمئة" (١٨٨)

قوله تعالى: [قَالَ أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا] (٩٦) المفعول محذوف من الأول، والتقدير "أتوني قِطْرًا أفرغ عليه قِطْرًا فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه" (١٨٩)؛ فقام المحذوف هنا مقام الإحالة على المذكور اللاحق القريب.

١٨٤- روح المعاني ٣١/١٦.

١٨٥- روح المعاني ٣٥/١٦.

١٨٦- روح المعاني ٣٤/١٦.

١٨٧- روح المعاني ٣٦/١٦.

١٨٨- روح المعاني ٣٦/١٦.

١٨٩- روح المعاني ٤١/١٦.

قوله تعالى: [قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا] (٩٨) في الآية مضاف محذوف في موضعين، رحمة "أي أثر رحمة"، وعد ربي "أي وقت وعده" (٩٠)^{١٩٠} قوله تعالى: [جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا] (٩٨) حذف هنا موصوف مؤنث "أي أرضاً مستوية" (٩١)^{١٩١}، وذكر القرطبي أن المحذوف مضاف والتقدير "مثل دكاء" (٩٢)^{١٩٢}.

٢-٢- الحذف الفعلي

في قوله تعالى: [إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا] (٨٦) في أحد التوجيهات النحوية، وهو على أن محل أن والفعل في الموضعين النصب، فيكون المحذوف فعلاً والتقدير "وإما تفعل أو توقع تعذيبك" والاتخاذ مثله والتقدير وإما تجري اتخاذك الحسنى (٩٣)^{١٩٣} قوله تعالى: [قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا] (٩٦) لما أمرهم بالنفخ استجابوا إذن هنا فعل محذوف والتقدير قَالَ انْفُخُوا "ففعلوا" (٩٤)^{١٩٤}.

١٩٠- روح المعاني ٤٢/١٦.

١٩١- روح المعاني ٤٢/١٦.

١٩٢- الجامع لأحكام القرآن ٦٤/١١.

١٩٣- ينظر الصفحة السابقة.

١٩٤- روح المعاني ٤١/١٦.



حذف عبارة قبل قوله تعالى: [فَاتَّبَعَ سَبَبًا] (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ (٨٦) "والتقدير فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله إليه" (١٩٥)

قوله تعالى: [آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا] (٩٦) في الكلام عبارة محذوفة، والتقدير "فأتوه إياها فأخذ بيني شيئاً فشيئاً، حتى إذا جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساوياً لهما في العلو" (١٩٦)

قوله تعالى: [قَالَ آتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قِطْرًا] (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا [٩٧] وهنا كلام محذوف، والتقدير قبل قوله [فما استطاعوا] "ففعّلوا ما أمروا به من إيتاء القطر، فأفرغ عليه فاختلط والتصق ببعضه ببعض فصار جبلاً صلباً فجاء بأجوج ومأجوج وقصدوا أن يعلوه أو ينقبوه فما استطاعوا" (١٩٧)، وقد دل المذكور من أمر ذي القرنين لهم على المحذوف.

قوله تعالى: قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)، في الكلام حذف "أي وهو يستمر إلى آخر الزمان فإذا جاء وعد ربي.." (١٩٨)، فدل المذكور من قوله تعالى: [فإذا

١٩٥- روح المعاني ٣١/١٦.

١٩٦- روح المعاني ٤٠/١٦.

١٩٧- روح المعاني ٤١/١٦.

١٩٨- روح المعاني ٤٣/١٦.

جاء وعد ربي الآية على المحذوف، فقام المحذوف هنا بعد تقديره، مقام
الإحالة على اللاحق القريب.



٣ - الربط

٣-١ - الربط الخطي المتصل

ويتمثل الربط الخطي في أحداث القصة، وقد وردت هذه الأحداث في النص موافقة للترتيب الزمني المطابق لحدوثها في الواقع، وتفصيلها كما يلي:

إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ٣ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ٤ (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ٥ (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ٦ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ٧ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ٨ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٩ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ١٠ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ ١١ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ١٢ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى ١٣ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ١٤ (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ١٥ (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ١٦ (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ١٧ (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ١٨ (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّتَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ١٩ (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ٢٠ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٢١ (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ٢٢ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمْمًا ٢٣ (٩٥) أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ٢٤ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ٢٥ (٩٦) فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ٢٦ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ٢٧ (٩٧) قَالَ

هَذَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّي ٢٨ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ٢٩ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ٣٠ (٩٨)

وترتيب الأحداث كما وردت في القصة كما يلي:

- مَكَّنَّا لَهُ وَآتَيْنَاهُ، والربط بينهما جاء بالواو التي تفيد الجمع بين الشيئين.

- فَأَتْبَعَ وَقَدْ عَظَفَ عَلَى الْحَدِثِ السَّابِقِ بِالْفَاءِ الَّتِي تَفِيدُ التَّرْتِيبَ وَالتَّعْقِيبَ. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا، والعطف بحتى يفيد استغراق وقت بين الحدثين (أتبع وبلغ)، أما العلاقة الزمنية بين الشرط وجوابه، فهي تفيد الترتيب والتعقيب بينهما، وعطف وجد على نظيره بالواو أفاد الجمع بين الحدثين.

- (قُلْنَا قَالَ)الأولى من الله سبحانه، والثانية من ذي القرنين، والعطف هنا بدون أداة ظاهرة، لكنها مقدرة بالفاء لأنها في حوار، فأفادت الترتيب والتعقيب.

- (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) العطف على أتبع الذي قبله، ولاشك أن بين الحدثين أحداث محذوفة، أخذت زمنا لم يذكر في نص القصة، وكان العطف بـ (ثم) مفيداً للترتيب مع التراخي.

- [حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا] (٩٠) والعطف بحتى يفيد استغراق وقت بين الحدثين أتبع وبلغ، واجتماع الحدثين بين الشرط والجواب، يفيد الترتيب والتعقيب بينهما.

- [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا] (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّتَيْنِ وَجَدَهَا.. (٩٣) قَالُوا



[قال ما مكني ... فأعينوني] ٩٥. وهذا الفعل بعده محذوف معطوف بالفاء، والتقدير فأعانتوه، ومثله أتوني، والتقدير فأتوه.

[حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفَخُوا] والعطف بحتى يفيد التراخي، كما أن فعل الشرط ساوى وجوابه (قَالَ) بينهما ترتيب وتعقيب، وهنا حدث محذوف دل عليه المذكور، والتقدير فنفخوا، ومثله أتوني فأتوه.

[حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ ۚ ٢٥] (٩٦) فأتوه قطراً فأفرغه، فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً (٩٧) قال ٢٨ (٩٨).

٤-٢- الربط الخطي المنفصل

جاء ذلك بكاف التشبيه في قوله تعالى: [كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ١٧ (٩١)] والكاف هنا تحتمل تشبيهات عدة بناءً على توجيهات عدة كما يلي: "أمره فيهم (أي في أهل المشرق) كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار... وجوز أن يكون (كذلك) صفة مصدر محذوف لـ (وجد) أي وجدها تطلع وجداناً كوجدانها تغرب في عين حمئة... أو صفة (قوم) أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليه الشمس في الكفر والحكم، أو معمول بلغ أي (بلغ) مغربها كما بلغ مطلعها" (٩٩) وعلى الأول تربط الكاف بين الجمل ١٠ إلى ١٤ والجملة ١٧، مع وجود مسافة جملتين، وعلى الثاني والثالث تربط الكاف بين الحدين [وجدها تغرب] ٦ (٨٦)، [وجدها تطلع] ١٦ (٩٠)، والمسافة بينهما

١٩٩- روح المعاني ١٦ / ٣٦، وما بين القوسين من تعبير الباحث.

١٠. جمل، وهذا الربط يقوم مقام الإحالة على البعيد. وعلى الرابع تربط الكاف بين الحدثين بلغ ٦ (٨٦)، وبلغ ١٦ (٩٠)ن والمسافة بينهما ٩ جمل.

كما جاء الربط الخطي المنفصل بـ (ثم)؛ حيث جاء عطف الرحلة الثانية على الرحلة الأولى، والمسافة بينهما ٩ جمل، وعطفت الرحلة الثالثة على الرحلة الثانية والمسافة بينهما جملتان، على الترتيب الآتي:
قوله تعالى: ١- [فَاتَّبَعَ سَبَبًا] ٥ (٨٥)، ٢- [ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا] ١٥ (٨٩)
٣- [ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا] ١٨ (٩٢).

فكانت ثم هي الرابط بين الرحلات الثلاثة، مع ما تفيد من الترتيب مع التراخي، لأن كل رحلة أخذت زماناً؛ فكان بين كل واحدة منها والأخرى مسافة زمنية لم يذكرها النص، لكن الربط ب(ثم) عبر عنها.



٢- الاتساق الدلالي

٢-١- التفصيل بعد الإجمال

قوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)] هذه الآية إجمال للقصة كلها، ثم جاء ما بعدها من أول قوله تعالى: [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ] (٨٤)؛ "فهذا شروع في تلاوة الذكر المعهود" (٢٠٠)

٢-٢- التأكيد

قوله تعالى: [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ٣ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ٤ (٨٤)] في الآية جملتان؛ الثانية تؤكد مضمون الأولى؛ لأن الإتياء المذكور تمكين.

قوله تعالى: [وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)] "تنزيل من ذي القرنين لما نكره من الجملة الشرطية وتأكيد لمضمونها" (٢٠١)، وهو ختام القصة.

٢-٣- المقارنة

قوله تعالى على لسان ذي القرنين: [قال ما مكنتي فيه ربي خير (٩٥)]؛ فهذه مقارنة بأفعل التفضيل (خير الذي أصله أخير وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال)، والمقارنة هنا بين ما عرض عليه القوم من الجعل نظير ما اقترحوه عليه من بناء السد، وما أعطاه الله تعالى من التمكين في الأرض والأسباب.

²⁰⁰- روح المعاني ٣٠/١٦.

²⁰¹- روح المعاني ٤٣/١٦.

٢-٤- علاقة السؤال بالجواب

ورد ذلك في بداية القصة حيث قال سبحانه: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ] ٨٣ الجملة الأولى بمثابة السؤال، والثانية جواب لها.

٢-٥- العلاقة بين الكلام في الحوار

وهي علاقة قريبة من العلاقة بين السؤال والجواب، بل هي أعم منها؛ فالحوار قد يحتوي على السؤال والجواب، وقد ورد الحوار في القصة في موضعين:

٢-٥-١- بين الله وذو القرنين:

في قوله تعالى: [قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ٨ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٩] (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ١٠ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ١١ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ١٢ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ١٣ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ١٤ (٨٨)، فقد خيره الله تعالى في أمرهم بين "القتل من أول الأمر... والدعوة إلى الحق ولإرشاد إلى ما فيه الفوز بالدرجات".. واختار ذو القرنين الشق "الأخير من شقي التخيير" (٢٠٢)

٢-٥-٢- بين ذي القرنين والقوم بين السدين ٩٤ - ٩٨

قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ٢٠ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٢١ (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي

202- روح المعاني ٣٤/١٦.



فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ٢٢ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمْيًا ٢٣ (٩٥)
 أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ٢٤ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا
 جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ٢٥ (٩٦).

وفي الحوار سؤال منهم وجواب بالرفض من ذي القرنين لما
 عرضوا عليه من خرج، وتكليف منه بأن يعينوه بقوة، وتوجيه منه لهم
 بكيفية استخدام هذه القوة في البناء.

٢-٦ - علاقة التقابل

في قوله تعالى: [إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ٨ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا] ٩ (٨٦)
 الجملتان ٨، ٩ متقابلتان.

قوله تعالى: [أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ١٠ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ١١
 فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ١٢ (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ
 الْحُسْنَىٰ ١٣ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ١٤ (٨٨)، فإن الآية ٨٧ تقابل
 الآية ٨٨؛ فكل منهما تحكي حال قوم مناقض لحال الآخرين من حيث
 العملُ والجزاء.

قوله تعالى: [بَلَّغْ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجْدهَا تَغْرِبَ] ٦ (٨٦)، وقوله:
 [بَلَّغْ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدهَا تَطْلُعَ] ١٦ (٩٠) الجملتان متقابلتان، وهذا
 التقابل الذي بينهما على ما بينهما من مسافة ٩ جمل، يجعل الواحدة
 تستدعي الأخرى وخاصة عند وصول المتلقي للجملة الثانية.

٢-٧ - التدرج

وذلك في قوله تعالى: [فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ٢٦ وَمَا اسْتَطَاعُوا
 لَهُ نَقْبًا ٢٧ (٩٧)؛] فإن الصعود على السد أيسر في القياس من نقبه،

فعبر بالأيسر متدرجاً به إلى الأصعب، وقد وافق التعبير بـ (استطاعوا)
(من دون التاء عن الأول، ووافق التعبير بـ (استطاعوا) بالتاء عن
الثاني.



٣- الاتساق المعجمي

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الاتساق	نوع الرابط	المسافة	العنصر المفترض
١	٢	ذي القرنين	تكرار	٦	يا ذا القرنين ج ٨
			تكرار	١٨	يا ذا القرنين ج ٢٠
٢	٩	قل	اشتقائي	٥	قلنا ج ٨
			اشتقائي	٧	قال ج ١٠
			اشتقائي	١١	سنقول ج ١٤
			اشتقائي	١٦	قولاً ج ١٩
			اشتقائي	١٧	قالوا ج ٢٠
			اشتقائي	١٩	قال ج ٢٢
			اشتقائي	٢٢	قال ج ٢٥
			اشتقائي	٢٢	قال ج ٢٥
			اشتقائي	٢٥	قال ج ٢٨

مَكَّنَا لَهُ	٢	شبه ترادف	١٨	مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي ج ٢٢
الأرض		جزء من كل	١٦	الأَرْضِ ج ٢٠
آتَيْنَاهُ	٥	اشتقائي	١٩	آتُونِي ج ٢٤
		اشتقائي	٢٠	آتُونِي ج ٢٥
سَبِيًّا		تكرار	0	سَبِيًّا ج ٥
سَبِيًّا		تكرار	١٠	سَبِيًّا ج ١٥
سَبِيًّا		تكرار	١٣	سَبِيًّا ج ١٨
أَتَّبَعَ سَبِيًّا	٣	تكرار	0	أَتَّبَعَ سَبِيًّا ج ٥
		تكرار	٩	أَتَّبَعَ سَبِيًّا ج ١٥
		تكرار	١٢	أَتَّبَعَ سَبِيًّا ج ١٨
بَلَغَ	٧	تكرار	٩	بَلَغَ ج ١٦



بَلَغَ ج ١٩	١٢	تكرار			
مَطْلَعُ الشَّمْسِ ج ١٦	٩	مقابلة	مَغْرِبَ الشَّمْسِ		
تَغْرِبَ ج ٦	0	اشتقائي	مغرب		
وَجَدَ ج ٧	0	تكرار	وَجَدَهَا		
وَجَدَهَا ج ١٦	٩	تكرار			
وَجَدَ ج ١٩	١٢	تكرار	وجد		
نَطْلَعُ ج ١٦	٩	تضاد	تَغْرِبَ		
قَوْمَ ج ١٦	٨	تكرار	قَوْمًا	٢	٧
قَوْمًا ج ١٩	١١	تكرار			
أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ج ٩	0	مقابلة	تُعَذِّبَ	٤	٨
نُعَذِّبُهُ ج ١٠	١	تكرار			
فَيُعَذِّبُهُ ج ١٢	٣	تكرار			
عَذَابًا ج ١٢	٣	اشتقائي			

الْحُسْنَى ١٣	٣	اشتقاقِي	حُسْنًا ١	٩
تَطْلُعُ ج ١٦	0	اشتقاقِي	مَطْلَعُ ١	١٦



٤- اتساق الفواصل

في القصة ١٦ فاصلة، هي (نكراً (٨٣)، سبياً (٨٤)، سبياً (٨٥)، حسناً (٨٦)، نكراً (٨٧)، يسراً (٨٨)، سبياً (٨٩)، سترأ (٩٠)، خبراً (٩١)، سبياً (٩٢)، قولاً (٩٣)، سداً (٩٤)، ردمأ (٩٥)، قطراً (٩٦)، نقبأ (٩٧)، حقأ (٩٨) وبينها عدد من أنواع الاتساق تفصيلها كما يلي:

٤-١- المتماثل في الحروف

وقد وردت جميع فواصل القصة الستة عشر متماثلة جميعاً في آخر حرف منها وهو الألف، وينطق ألفاً في الوقف، وينطق تتوين نصب في الوصل فيها جميعاً.

وتمائلت ست فواصل منها في الانتهاء بحرفي الراء والألف وهما يكونان المقطع المتوسط المفتوح (را) (ص ح ح). هذه الفواصل الست هي: (نكراً (٨٣)، نكراً (٨٧)، يسراً (٨٨)، سترأ (٩٠)، خبراً (٩١)، قطراً (٩٦)، وتمائلت خمس فواصل في الانتهاء بحرفي الباء والألف وهما يكونان المقطع المتوسط المفتوح (با) (سبياً (٨٤)، سبياً (٨٥)، سبياً (٨٩)، سبياً (٩٢)، نقبأ (٩٧)

وردت خمس فواصل يُكوّن نهاية كل منها مقطعاً متوسطاً مفتوحاً وهي: نا، قا، دا، لا، ما. في الفواصل (حسناً (٨٦)، قولاً (٩٣)، سداً (٩٤)، ردمأ (٩٥)، حقأ (٩٨).

وقد تبين أن جميع الفواصل، متماثلة في نهايتها من جانبيين؛ أحدهما أنها تنتهي جميعاً بالألف، والثاني أنها جميعاً تنتهي بمقطع متوسط مفتوح، وهذا يشكل تكثيفاً للتناسق الصوتي بين أجزاء نص القصة.

يلاحظ اشتراك القصتين في هذا التماثل الصوتي، من حيث انتهاء الفواصل فيهما جميعاً بالألف، وكذا انتهاءها جميعاً بنمط واحد من المقاطع، وذلك يتفق مع السياق الذي وردتا فيه، وهو سورة الكهف، التي تناسقت فواصلها جميعاً بهاتين السمتين الصوتيتين.

٤-٢- المتقارب في الحروف

تقاربت معظم الحروف (الأصوات) الواقعة قبل الحرف الأخير، في هذه القصة، وهي الراء والباء والنون واللام والdal والميم، تقاربت من حيث المخارج فمخارجها محصورة بين الشفتين واللثة، فمعظمها من الحروف الذوقية (أي التي من ذلق اللسان) ومنها (الراء والنون واللام) والشفوية ومنها (الباء والميم) وهي أكثر الأصوات دوراناً في الكلام العربي بشهادة القدماء والمحدثين، كما تقاربت جميعاً في صفة الجهر.

٤-٣- المتوازي:

اتفقت الفاصلتان (سبباً (٨٤)، سبباً (٨٥) وزناً وفي حروف السجع. وكذا الفاصلتان: نُكْرَأ (٨٧)، يُسْرَأ (٨٨).

٢- المتوازن: اتفقت الفاصلتان: حُسْنَأ (٨٦)، نُكْرَأ (٨٧) في الوزن، وكذا الفواصل: قَوْلَأ (٩٣)، سَدَأ (٩٤)، رَنَمَأ (٩٥)، ومثل ذلك الفاصلتان نَقْبَأ (٩٧)، حَقَأ (٩٨).

٤-٤- المطرّف:

وقد ورد منه الفاصلتان: سِتْرَأ ٩٠، خُبْرَأ ٩١. وهذه الأنماط الثلاثة - إضافة إلى ما سبق- تعضد التناسق الصوتي بين أجزاء النص، وتقوي من انساقه، وقد اشتركت القصتان في هذه الأنماط جميعاً.



٥- اتساق موضوعات الخطاب

موضوع الخطاب الرئيسي هو قصة ذي القرنين، وهذا الخطاب ينقسم إلى عدد من المقاطع النصية المتسقة، هذه المقاطع هي:

٥-١- المقطع الأول: السؤال عن ذي القرنين ووعد الله تعالى بالإجابة:

من قوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ الْآيَةَ ٨٣] حتى قوله تعالى: [سَبَّأَ الْآيَةَ ٨٤] وفيها القضايا الآتية:

أ- خطاب من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، بشأن سؤال قريش (بتحريض من اليهود) عن ذي القرنين.

ب- توجيه الله تعالى لرسوله بأن يخبرهم بالجواب، عما سألوا عنه وأنه سيتلو عليهم من أنباء ذي القرنين قرآنًا.

ج - تمكين الله له في الأرض وهو "الإقذار وتمهيد الأسباب" (٢٠٣)

د- أن الله تعالى أعطاه من كل شيء "أرادته من مهمات ملكه ومقاصده المعلقة بسلطانه.. أي طريقاً يوصله إليه من علم وقدره أو آلة" (٢٠٤)

٥-٢- المقطع الثاني: قصة بلوغه منتهى الأرض من جهة المغرب:

من قوله تعالى: [٨٤] (فَاتَّبَعَ سَبَبًا) [٨٥] إلى قوله تعالى: [مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨] وفيه القضايا الآتية:

أ- أراد ذو القرنين بلوغ المغرب فسلك طريقاً يوصله إليه.

ب- إنه وجد الشمس تغرب في عين ذات حمئة.

203- روح المعاني ١٦ / ٣٠.

204- روح المعاني ١٦ / ٣١.

ج- أنه وجد عندها قوما، وكانوا كافرين، فخيرهم الله تعالى فيهم بين القتل والتعذيب على كفرهم، أو الدعوة بالحسنى أولاً فاختار الثانية، وتوعد العصاة بالعذاب في الدنيا على يديه وفي الآخرة عند الله.

٥-٣- المقطع الثالث: قصة بلوغه مشرق الأرض:

من قوله تعالى: [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ١٥ (٨٩) إِلَى قَوْلِهِ: خُبْرًا ٩١] وفيه القضايا الآتية:

أ- توجه ذو القرنين من أقصى المغرب، إلى أقصى مكان تطلع عليه الشمس من جهة المشرق.

ب - وجد هناك أقواماً ليس لهم أبنية ولا لباس يستترهم من الشمس، فكان أمره فيهم كأمره في أهل المغرب. (٢٠٥)

٥-٤- المقطع الرابع: قصته في شمال الأرض:

من قوله تعالى: [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ١٨ (٩٢) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ٩٨] وفيه القضايا الآتية:

أ- اتجه ذو القرنين إلى شمال الأرض، بين السدين (الجبليين) و"هما بموضع من الأرض لا نعلمه" (٢٠٦) وأنه وجد من دونهما أمة من الناس، لا يفهمون كلام غيرهم.

ب- قدمت هذه الأمة شكوى إلى ذي القرنين، من إفساد يأجوج ومأجوج في أرضهم بالقتل والتخريب وغيرهما، وعرضت عليه جعلاً من المال، مقابل أن يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً.

205- روح المعاني ٣٦/١٦.

206- روح المعاني ٣٧/١٦.



ج- رفض ذو القرنين الجعل، وأمرهم أن يمدوه بقوة من الناس وقطع الحديد وغيرها.

د- استجابوا له وأمدوه بما أراد، واستمر البناء حتى ساوي السد ارتفاع الجبلين، فأمر العملة فنفخوا بالكيران حتى صار الحديد كالنار، فأمر بالنجاس المذاب، فأفرغ عليه حتى صار قويا أملس.

هـ- عجزت يأجوج ومأجوج عن نقبه، أو الصعود فوقه، عند ذلك وصف ذو القرنين هذا البناء بأنه رحمة من الله تعالى لسائر الناس إلى أن يجيء وعده سبحانه فيسويه بالأرض^(٢٠٧).

هذه المقاطع جميعاً، مترابطة بما فيها من قضايا، حيث يمثل كل مقطع منها جزءاً من قصة ذي القرنين، كما يربط بينها أن الهدف واحد في المقاطع الثلاثة، وهو الإصلاح في الأرض.

٦- الاتساق بين النص والعالم الخارجي في المجتمع

الأفعال المنجزة في قصة ذي القرنين على أقسام:

الأول: قسم الأفعال الداخلة في إنجاز لازم فعل الكلام، ومنها سؤال قریش بتحريض من اليهود عن ذي القرنين، ووعد الله تعالى بالإجابة، وقد أجاب، وتمكين الله تعالى له في الأرض، وبلوغه مغرب الشمس، ثم بلوغه مطلعها ودعوته إلى التوحيد في المجتمعين، قبل أن يوقع عذاباً على الظالمين فيهما، وأنه جازى المحسنين منهم بالحسنى، ثم رحلته إلى الشمال وتحقق فساد يأجوج ومأجوج، وبناء السد.

وأمره لمن قدموا له الشكوى، واقترحوا عليه الخرج - ممن أصابهم ضرر هذا الفساد- أن يعينوه وأن ينفخوا ويصبوا القطر على البناء، إن إنجاز ذي القرنين لأمر الله تعالى في أهل المغرب وأهل المشرق، وبناء السد في الشمال، واستجابة أهل الشمال له بإعانتة بقوة ومنها زبر الحديد والنفخ بالكيران، وإفراغ القطر، كل هذا يعد من إنجاز لازم فعل الكلام، وهذه الأفعال المنجزة كلها قد أنجزت في مجتمعات ثلاثة.

الثاني: قسم الأفعال التي لم تتعدَّ حدود فعل القول وهو قول القوم لذي القرنين [فهل نجعلُ لك خُرْجاً]؛ لأنه رفض قبول الخرج، وكذا الفعلان [فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً]؛ لأنهما قد سلَّبا بالنفي.

الثالث: قسم الأفعال التي لم تتجز بعد؛ لكنها سوف تتجز عندما يأتي وقت ذلك، ومنها مجيء وعد الله، وجعل السد الذي بناه ذو القرنين مستوياً بالأرض.



وقد استنبط المفسرون والفقهاء وعلماء النحو، دلالات مستفادة من بعض آيات القصة:

٦-١- استدل فريق على نبوة ذي القرنين^(٢٠٨) بقوله تعالى: [وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ٧ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ٨ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا](٨٦).

٦-٢- وقوله تعالى: [كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)] يؤخذ منها الدلالة على تعظيم ذي القرنين وتعظيم أمره إذ هو "وراء ما وصف بكثير مما لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير"^(٢٠٩).

٦-٣- قوله تعالى: [قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ٢٠ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ٢١ (٩٤)]. "في الآية دليل (دلالة) على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها ومنعهم لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه"^(٢١٠)

٦-٤- قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ٢٢ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَكْمًا ٢٣ (٩٥). "في الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم وإصلاح ثغورهم، من أموالهم التي تفيء عليهم، حقولهم التي تجمعها خزائنهم تحت يده ونظره،

208- روح المعاني ٣٤/١٦.

209- روح المعاني ٣٤/١٦.

210- الجامع لأحكام القرآن ٥٩/١١.

حتى لو أكلتها الحقوق وأنفدتها المؤمن لكن عليهم جبر ذلك من أموالهم
وعليه حسن النظر لهم" (٢١١)
٦-٥- قوله تعالى: [آتوني أفرغ عليه قطراً] (٩٦)، التقدير "آتوني
قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه"، أخذ
البصريون من هذه الآية دليلاً على أن إعمال الثاني في باب التنازع
أولى؛ إذ لو كان (قطراً) مفعول (آتوني) لأضمر مفعول (أفرغ) وحذفه،
وإن جاز إلا إنه يوقع في لبس" (٢١٢).

211- الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١١.

212- روح المعاني ٤١/١٦.



خاتمة ونتائج

كان رسم منهج لتحليل النص للكشف عن عوامل الاتساق فيه؛ من أجل الإسهام في نظرية عربية لتحليل النص هو هدف البحث بالدرجة الأولى، وكانت وسيلة هذا الهدف هي التطبيق، وقد اهتم البحث باتساق النص (الخطاب) خاصة، فأوضح المراد به، ثم المراد بمصطلحي النص والخطاب، وانتهيت إلى أنهما يستخدمان بمعنى واحد غالباً، في ميدان علم اللغة النصي، ثم أخذت في دراسة عوامل الاتساق في النص، بادئاً بدراستها في قصة أصحاب الكهف، ومثلياً بدراستها في قصة ذي القرنين.

أفاد البحث في تحليل النص في القصتين، من المعلومات اللغوية والمعلومات الخارجية، أو ما يطلق عليه علماء علم اللغة النصي العالم الخارجي.

شمل التحليل جوانب عدة من جوانب الاتساق وهي - على الترتيب الاتساق النحوي، والاتساق الدلالي، والاتساق المعجمي، والاتساق بين الفواصل، واتساق موضوعات النص، والاتساق بين النص والعالم الخارجي في المجتمع، وبذا يكون التحليل شمل جوانب عدة؛ نحوية وصوتية ودلالية وتداولية (براجماتية)؛ حيث اهتم بصلة النص بالمستقبل، وهو ما يسمى في علم اللغة النصي بـ علاقة النص بمستخدميه.

شمل الاتساق النحوي عدداً من عوامل الاتساق، أولها عامل الإحالة، وقد حللنا العلاقة بين كل عنصر إشاري عامل، وما يحكمه (أو يعمل فيه، أو يراقبه) من العناصر الإحالية، واتضح أن العنصر الإشاري

الرئيسي في القصة الأولى، هو (أصحاب الكهف)، وأنه أكثر العناصر الإشارية عملاً وتابعاً، فقد تبعه ٨٢ عنصراً إيحالياً، وهذا العدد يشكل نسبة ٤. ٥٥. / من مجموع العناصر الإحالية (التي يبلغ عددها ١٤٨ عنصراً) في القصة؛ مما جعل جميع جمل القصة متسقة بخيوط الإحالة على السابق إلى هذا العنصر الإشاري الرئيسي، خاصة أنه ذكر في أول جملة منها، فأكد على أن الجملة الأولى في النص لها أهمية كبرى في الاتساق النصي.

كذلك كان ذو القرنين هو العنصر الإشاري الرئيسي في القصة الثانية؛ إذ ذكر في أول جملة منها، وتبعه ٣٥ عنصراً إيحالياً، وهذا العدد يقترب من نصف مجموع العناصر الإحالية في القصة كلها، والتي يبلغ عددها ٧٣ عنصراً.

تبين أن مجموع علاقات الإحالة بأنواعها، في نص قصة أصحاب الكهف أكثر من ٢٠٠ علاقة، هي موزعة على عدد آيات القصة وعددها ١٩ آية (٦٨ جملة)، مما يبين كثافة هذه الإحالات، التي تدل بالتالي على كثافة درجة الاتساق والربط في نص القصة.

وتبين أن عدد علاقات الإحالة في قصة ذي القرنين أكثر من ٨٥ علاقة، هي موزعة على آيات القصة وعددها ١٦ آية (٣٠ جملة)، وتبين أن متوسط كثافة الإحالة في القصتين ٣ إحالات تقريباً لكل جملة.

تبين أن أسماء الإشارة في قصة أصحاب الكهف - في الأغلب الأعم - أدت وظيفة الإحالة النصية، وأن هذه الأسماء في جملتها أحالت



على نص القصة كله، فمنها ما أحال إلى أكثر من قطعة نصية، ومنها ما أحال إلى النص كاملاً، مثل لفظ [هذا] ٥٩ (٢٤)

قامت بعض الألفاظ بالإحالة النصية على النص كله في القصتين، مثل لفظ (نبأهم) في القصة الأولى^(٢١٣)، ولفظ (نكراً)، في القصة الثانية^(٢١٤). ومنها ما قام بوظيفة الإحالة المعجمية والإحالة النصية معاً، كما أن منها ما أحال إحالة داخلية، أي إلى داخل النص، ومنها ما أحال إحالة خارجية؛ أي إلى نص خارجي، عرف من سياق الحال.

يمكن أن يتفق عنصران إحاليان نصيان، في إحالة مشتركة على نص واحد، كما رأينا في العنصرين نبأهم ٨ (١٣)، هذا ٥٩ (٢٤)، حيث أحال كل عنصر منهما على نص القصة الأولى كلها.

يكون العنصر الواحد - أحياناً - عنصراً إشارياً معجمياً داخلياً؛ فيعمل في عنصر إحالي داخل النص، وفي نفس الوقت يكون عنصراً إحالياً خارجياً؛ فيحيل على عنصر خارج النص، كما وجدنا في اسم الإشارة ذلك في قوله تعالى: [وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ٥٧ ٥٩ (٢٤)]. فقد أحال إلى كلمة شيء في النص، وأحال إحالة نصية خارجية إلى نص كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما وعد قريشاً أنه يجيبهم غداً الوارد في سبب النزول، وهو قوله: (سأخبركم غداً)؛ فالعنصر الإشاري هنا عنصر مشترك، بمعنى

213- ينظر البحث ص ٣٤.

214- ينظر البحث ص ١٠٠.

أنه معجمي من جانب، ونصي من جانب آخر، وأنه يعمل في عنصر داخل النص، وعنصر خارجي مستفاد من سياق الحال.

أحياناً تكون الإحالة نصية على نص داخلي، ويحتمل - مع ذلك - أن تكون على نص خارجي مفهوم من العالم الخارجي للنص، كما رأينا في الإحالة بـ (يتنازعون ٤٦ (٢١)، وقد نتج هذا الاحتمال من احتمال تعدد مرجع الضمير (واو الجماعة).

عند الأخذ في الاعتبار أن النص المدروس وحدة مستقلة، يمكن أن تكون بعض العناصر الإحالية من نوع الإحالة الخارجية، وعند مراعاة السياق الكبير للنص (السورة في موضوعنا) تكون إحالة داخلية على أساس أنه يعود على مذكور في النص (السورة)، قبل أن يبدأ نص القصة.

جاءت العناصر الإحالية الخارجية مشتركة الإحالة على المتكلم سبحانه وتعالى، في القصتين؛ في ٧ مواضع في الأولى، وفي ٥ مواضع في الثانية، وكذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ في الأولى في ٣١ موضعاً، وفي الثانية في ٣ مواضع، وعلى اسم الموصول المشترك (من)؛ في الأولى في ٣ مواضع، وفي الثانية في موضعين، لكن الإحالة به في كل إحالة، هي إحالة مستقلة.

عندما يحذف كلام من النص اعتماداً على ما ذكر من قبل فيه، أو اعتماداً على دلالة كلام سابق في النص، فإن ذلك يقوم بوظيفة الإحالة على السابق.



وعندما يحذف عنصر من النص، اعتماداً على ذكره فيما بعد في النص؛ فإن هذا الحذف يقوم مقام الإحالة على اللاحق المذكور، وجدنا ذلك في القصة الأولى^(٢١٥) وفي الثانية^(٢١٦).

معظم أدوات الربط الخطي المتصل المستخدمة في القصتين هي (الواو) للجمع بين الشيئين، ثم (الفاء) للترتيب والتعقيب، واستخدمت (ثم) للترتيب مع التراخي)، واستخدمت كاف التشبيه، وواو العطف، وثم للربط الخطي المنفصل؛ فكانت بمثابة الإحالة بالعودة على السابق البعيد، حيث ربطت بين حدثين متباعدين في فضاء النص.

تقوم الدلالة على المحذوف في الكلام مقام العنصر الإشاري، ويقوم المحذوف مقام العنصر الإحالي، ذلك أن المذكور يفسر المحذوف ويدل عليه، وتأتي الإحالة بالمحذوف على المذكور القريب، وكذلك تأتي على المذكور البعيد، فتسهم في تحقيق اتساق النص.

اعتمد الاتساق الدلالي في القصتين على عدد من الوسائل هي التفصيل بعد الإجمال، علاقة السؤال بالجواب، والتعليل، والتدرج، والتأكيد، والسببية، والمقارنة، وعلاقة الكلام بعضه ببعض في الحوار، وعلاقة التقابل.

تسهم النواحي البلاغية، (مثل الالتفات) في الاتساق الدلالي؛ كالتعليل للوصف بالربوبية، ولقول الفتية، حيث تربط بين الجمل، فتقوم بذلك مقام الإحالة.

215- ينظر البحث ص ٥٢.

216- ينظر البحث ص ١٠٥.

تبين أن علاقة السببية (بين السبب والمُسبَّب) تقوم بوظيفة الإحالة على القريب والبعيد.

تمثلت علاقات الاتساق المعجمي في الترادف وشبهه، والاشتقاق، والتكرار، والتضاد، والمقابلة، وعلاقة الجزء بالكل، وبلغت هذه العلاقات ٥٧ علاقة في القصة الأولى، و٣٦ علاقة في الثانية.

يعد اتساق الفواصل لوناً من الاتساق الموسيقي بين نهايات الآيات في القصتين، وقد تمثل هذا الاتساق فيهما في المتماثل، والمتوازي، والمتوازن، والمطرّف، واتضح الاتساق بواسطة المتقارب في القصة الثانية، وقد بلغ عدد الفواصل المتسقة - مع مختلف أنماط الاتساق - ٧٩ فاصلة في القصة الأولى، و٦٢ فاصلة في الثانية.

كلتا القصتين كان لهما اتصال وثيق بالمجتمعات التاريخية القديمة التي حدثت فيها من جانب، ولهما صلة وثيقة بالمجتمع الإسلامي منذ نزولهما وإلى يوم القيامة، وهذا يشكل اتساقاً بين النص والمجتمع، وقد تمثل هذا الاتساق في ثلاثة جوانب:

الأول: أن أحداث هاتين القصتين حدثت في مجتمعات، وكان الهدف منها إصلاح خلل واقع في هذه المجتمعات:

فالقصة الأولى دعمت عقيدة التوحيد، وحسمت حيرة المختلفين في أمر البعث، وأيدت الفريق القائل بأن البعث يكون بالأرواح والأجساد معاً.

والقصة الثانية كانت أحداثها تهدف إلى نشر عقيدة التوحيد، وعبادة الله وحده، ومحاربة الفساد في الأرض.



الجانب الثاني: هو أن الموحى إليه صلى الله عليه وسلم (كان قرآناً يمشي على الأرض) فهو الذي ينفذ كل ما وجه إليه من أمر ونهي وغيرهما، وهو في ذلك قدوة لمتبعيه إلى يوم القيامة.

الجانب الثالث: هو أن الفقهاء استنبطوا من بعض الآيات (في القصتين) أحكاماً فقهية، تعود بالنفع على المجتمع إلى يوم القيامة.

مما سبق ندرك أن اتساق النص لا يكمن في جانب واحد منه؛ بل في عدد من الجوانب؛ هي الجوانب النحوية، والدلالية، والمعجمية، والصوتية، والتداولية، وأن تحليل النص يجب أن يكون من جوانب متعددة تعدد جوانب الكلام.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكون البحث قد حقق هدفه في رسم منهج وصفي لتحليل الخطاب؛ من أجل الكشف عن أوجه الاتساق النصي، وأن يكون هذا المنهج لبنة في بناء نظرية عربية لتحليل النص، وأن يكون نافعاً لمن يريد أن يعمل في هذا الميدان، وأن يكون عملاً خالصاً له تعالى؛ فهو صاحب المنة والتوفيق.

فريد عوض حيدر

المراجع

- الألويسي: شهاب الدين السيد محمود: ١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥، ١٦)، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان (د-ت).
- اوستين: ٢- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ترجمة عبد القادر قنيني أفريقيا الشرق ١٩٩١.
- بحيري (الدكتور سعيد حسن): ٣- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٧.
- ٤- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات لونجمان القاهرة. ١٩٩٧
- ج. ب. براون وج. بول: ٥- تحليل الخطاب ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطي ود. منير التريكي، النشر العلمي - جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- حسان (الدكتور تمام) ٦- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني. عالم الكتب القاهرة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الراجحي (الدكتور عبده) ٧- النحو العربي والدرس الحديث. دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩.
- روبرت دي بو جراند: ٨- النص والخطاب والإجراء ترجمة الدكتور تمام حسان عالم الكتب القاهرة ط ١ ١٩٩٨.
- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: ٩- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.



- الزمخشري: محمود بن عمر: ١٠- الكشف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المجلد الثاني دار المعرفة بيروت -
لبنان (د . ت)
- الزناد (الأزهر): ١١- نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً
المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط ١ ١٩٩٣.
- الطبري: أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري: ١٢- جامع البيان في
تفسير القرآن (الجزء ١٥)، دار المعرفة بيروت لبنان ط ٤ ١٤٠٠هـ -
١٩٨٠م.
- عفيفي: (الدكتور أحمد) ١٣- نحو النص اتجاه جديد في الدرس
النحوي مكتبة زهراء الشرق القاهرة ٢٠٠١
- عبد اللطيف (الدكتور محمد حماسة) ١٤- الإبداع الموازي، التحليل
النصي للشعر دار غريب القاهرة ٢٠٠١.
- ١٥- ظواهر نحوية في الشعر الحر، دراسة نصية في شعر صلاح عبد
الصبور دار غريب القاهرة ٢٠٠١.
- عوض (يوسف نور) ١٦- علم النص ونظرية الترجمة دار الثقة للنشر
والتوزيع مكة المكرمة ط ١ ١٤١٠ هـ.
- الفاسي (الدكتور عبد القادر) ١٧ - الدلالة النظرية لبعض الظواهر
الإحالية في اللغة العربية ضمن اللسانيات في خدمة اللغة العربية
الجامعة التونسية ١٩٨١.
- فان دايك (تون . أ) ١٨- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات
ترجمة وتعليق دكتور سعيد حسن بحيري القاهرة - دار القاهرة ١٤٢١هـ -
٢٠٠١م

- ١٩- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي
ترجمة عبد القادر قنيني أفريقيا الشرق ٢٠٠.
- فرانك بالمر: ٢٠- علم الدلالة ترجمة خالد محمد جمعة، مكتبة دار
العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ط ١ ١٩٩٧.
- فولفجانج هاينه من، وديتر فيه فيجر: ٢١- مدخل إلى علم اللغة
النصي ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود،
الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- محمد خطابي: ٢٢- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب
المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ١٩٩١.
- مريم فرنسيس: ٢٣- في بناء النص ودلالته (محاوَر الإحالة الكلامية)
دمشق ١٩٩٨.
- مصطفى النحاس (دكتور): ٢٤- نحو النص في ضوء التحليل اللساني
للخطاب منشورات ذات السلاسل الكويت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ابن منظور جمال الدين محمد ابن المكرم: ٢٥- لسان العرب دار
صادر بيروت لبنان ١٣٠٠هـ
- يونس: محمد محمد: ٢٦- وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم
الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى. منشورات جامعة
الفتاح ١٩٩٣.

27 - Crystal, David, A dictionary of linguistics and Phonetics,
Basil Blackwell, Third edition, Cambridge, Massachusetts, 1991.



28 - Halliday and hasan, Cohesion in English, Longman, Great Britain, 1976.

29 - Michael Stubbs, Discourse Analysis, the sociolinguistic analysis of natural language, the University of Chicago press Great Britain 1983.

30 - Weekly, Ernest, An Etymological Dictionary of Modern English, volume2, Dover Publications, New York, 1967.

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١١	النص والخطاب
١٣	مفهوم الاتساق
١٥	القصة الأولى: قصة أصحاب الكهف
١٥	نص القصة
١٧	مظاهر الاتساق في نص القصة
١٧	١- الاتساق النحوي
١٧	١-١- الإحالة
١٨	الإحالة الداخلية
٢١	الإحالة الداخلية المعجمية
٢١	العناصر الإشارية العاملة
٣٣	العناصر الإشارية غير العاملة
٣٤	الإحالة الداخلية النصية
٣٩	الإحالة الخارجية
٤٨	٢-١ - الحذف
٤٨	الحذف الاسمي
٥١	الحذف الفعلي
٥٢	حذف التراكيب
٥٥	٣-١ - الربط



٥٥	الربط الخطي المتصل
٦٠	الربط الخطي المنفصل
٦٣	٢-الاتساق الدلالي
٦٤	البيان
٦٥	التفصيل بعد الإجمال
٦٦	علاقة الإجابة بالسؤال
٦٦	التعليل
٦٨	التدرج
٦٨	التأكيد
٦٩	السببية
٧٠	المناسبة
٧١	٣-الاتساق المعجمي
٧٨	٤- الاتساق بين الفواصل
٧٨	المتماثل في الحروف
٧٩	المتوازي
٧٩	المتوازن
٨٠	المطرّف
٨١	٥- اتساق موضوعات الخطاب
٨٢	المقطع الأول: مجمل القصة
٨٣	المقطع الثاني: تفصيل القصة
٨٣	قصة إيمان أصحاب الكهف

٨٣	وصف أحوالهم أثناء لبثهم
٨٤	بعثهم وحوار يدور بينهم
٨٤	الإعثار عليهم
٨٥	اختلاف المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عددهم
٨٥	توجيه من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
٨٧	٦- الاتساق بين النص والعالم الخارجي في المجتمع
٩٤	- القصة الثانية
٩٤	نص القصة
٩٥	مظاهر الاتساق في نص القصة
٩٥	١- الاتساق النحوي
٩٥	١-١- الإحالة
٩٥	الإحالة الداخلية
٩٥	الإحالة الداخلية المعجمية
٩٥	العناصر الإشارية العاملة
١٠٠	الإحالة الداخلية النصية
١٠١	العناصر الإشارية غير العاملة
١٠١	الإحالة الخارجية
١٠٣	١-٢- الحذف
١٠٣	الحذف الاسمي
١٠٦	الحذف الفعلي
١٠٧	حذف التراكيب



١٠٩	١-٣- الربط
١٠٩	الربط الخطي المتصل
١١١	الربط الخطي المنفصل
١١٣	٣- الاتساق الدلالي
١١٣	التفصيل بعد الإجمال
١١٣	التأكيد
١١٣	المقارنة
١١٤	علاقة السؤال بالجواب
١١٤	العلاقة بين الكلام في الحوار
١١٥	علاقة التقابل
١١٥	التدرج
١١٧	٣- الاتساق المعجمي
١٢١	٤- اتساق الفواصل
١٢١	المتماثل في الحروف
١٢٢	المتقارب في الحروف
١٢٢	المتوازي
١٢٢	المطرّف
١٢٣	٥- اتساق موضوعات الخطاب
١٢٣	المقطع الأول: السؤال عن ذي القرنين ووعده الله تعالى بالإجابة
١٢٣	المقطع الثاني: قصة بلوغه منتهى الأرض من جهة المغرب
١٢٤	المقطع الثالث: قصة بلوغه مشرق الأرض

١٢٤	المقطع الرابع: قصة بلوغة شمال الأرض
١٢٦	٦- الاتساق بين النص والعالم الخارجي في المجتمع
١٢٩	خاتمة ونتائج
١٣٦	المراجع
١٤٠	المحتوى

